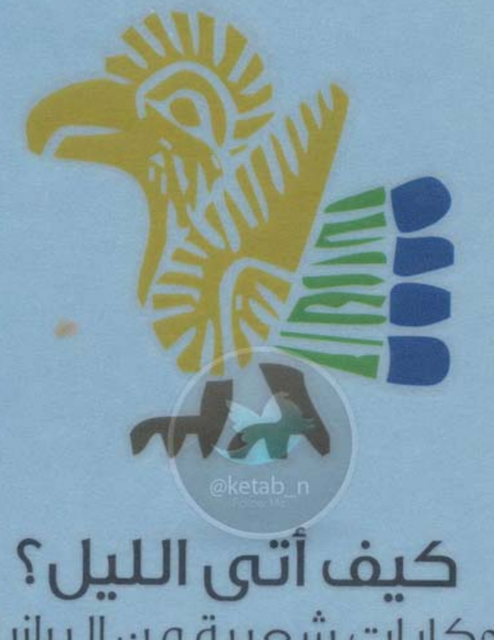
ثقافات الشعوب





كيف أتى الليل؟
حكايات شعبية من البرازيل

جمع: إلسي سبايسر
ترجمة: نوح ابراهيم

كيف أتى الليل؟

حكايات شعبية من البرازيل

جمع:
إلسي سبايسر ايلز

ترجمة:
نوح ابراهيم





كيف أتى الليل؟

حكايات شعبية من البرازيل

فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

كيف أتى الليل؟: حكايات شعبية من البرازيل

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8. E27. Fa12 2009
Eells, Elsie Spicer 1880.
[Fairy Tales from Brazil]

كيف أتى الليل؟: حكايات شعبية من البرازيل/ جمع السي سبايسر ايلز: ترجمة نوح ابراهيم
– ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
116ص: 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 7- 358-01-9948-978
ترجمة كتاب: Fairy Tales from Brazil
1 – القصص الشعبية البرازيلية 2 - الحكايات البرازيلية. أ– ابراهيم، نوح. ب– العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله النتان



info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحققاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

لطالما كان أدب أمريكا اللاتينية محلَّ اهتمامٍ لدى النقَّاد والقرَّاء على السَّواء في مختلف أصقاع العالم، فقد قدَّم أدباء برهنوا على تنوّع في المنظور الجماليِّ وفرادةٍ في النَّفَس السَّرديِّ جعلت من هذا الأدب تياراً جديداً يرفد الثقافة العالمية. لكنَّ النظرة الشمولية، من مثل اعتبار كل ما يأتي من تلك القارة واقعياً سحرياً! أثبتت قصورها. فإذا أخذنا بلدَين جارَين مثل البرازيل والأرجنتين نموذجَين، لوجدنا تبايناً واضحاً في الرؤية الأدبية والهاجس الفني، يكفي أن نقرأ بورخيس وكورتاثار من الأرجنتين وأمادو وكويلو من البرازيل حتى ندركه واضحاً على الفور. لذا، كان لابد من الاقتراب أكثر من هذا الأدب عبر دراسة جذوره وعلاقته بالميراث الشعبي والإرث الإدراكي. وما هذا الكتاب إلا محاولة لاطلاع القارئ العربي على هذا التراث الأصل لهذا الأدب.

تمتاز مجموعة الحكايات هذه بكونِها تُمثِّل مزيجاً غنياً من البُنى الفكرية والحضارية التي توالت على تلك البقعة البكر من الأرض. فمعظمها يمتدُّ في أصوله إلى التراث الحكائي السابق للغزو الأوروبي، إلى العلاقة العضوية المتينة مع الطبيعة حفاظاً على براءة البدايات، عبر قصصٍ هي أقرب إلى الحيّز الطفولي حتى حين تتناول أحداثاً عنيفةً أو مواعظ أخلاقية. إلا أن ذلك لا يعني خلوها من العبرة والدرس، بل ربما نشأت امتداداً لوعي فضَّل العفوية والتلقائية سواء في علاقات البشر ببعضهم أو في علاقتهم بذواتهم، وهكذا تأخذ مشاعر كالأسف أو الحزن بُعداً صافياً غريباً على وعينا المعاصر. وفي هذا السياق تأتي محاولات تأويل العالم، القريبة من الأسطورة في تبريرها لمظاهر الكون، بسيطةً لدرجة السذاجة أحياناً (كما في حكاية «كيف فقد الأرنب ذيله؟»)، ومُحكمةً أحياناً أخرى (كما في حكاية «كيف أتى الليل؟»)، لكنها في الحالين تقوم على مبدأ واحد هو خلق ذلك النوع النادر من التناغم بين الإنسان والكون، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الحيوانات تكتسب صفاتٍ إنسانية فور ظهورها في هذه الحكايات.

أما بقية الحكايات فربما تأتي من ذاكرة أقرب، إذ نجد عناصر جديدة تُضاف إلى الحكاية؛ شخصياتٌ ومؤثراتٌ لم تكن واردة في القصص الأقدم: الجنية التي تسكن القلعة في حكاية «كيف أصبح الأسودُ أبيضَ؟» هي أقرب إلى النموذج الأوروبي، والربط بين ألوان الخنافس وألوان علم البرازيل في حكاية «كيف حصلت الخنافس البرازيلية على قشرتِها البهيَّة؟» يحيل إلى تاريخ حديث نسبياً إذا عرفنا أن البرازيل استقلت عن البرتغال عام 1822م. لكن حكايةً مثل «لِمَ ينتحب البحر؟» مثلاً، ستفاجئنا من نَواحٍ شتى، فهي أولاً تقترح لأبطالها أسماء غريبة لاتينية الطابع، مما يستدعي افتراض وفودها مع الغزو الأوروبي، وهي ثانياً تنبني على أسس سرديةٍ أكثر تعقيداً وأخلاقيات أكثر حدةً (ترد فكرة الخير والشر هنا جليةً بعكس معظم الحكايات الأخرى).

هذه حكايات من بلاد بعيدة أردنا أن نقدّمها لقارئ العربية، انطباعاً بطابع العصر الذي يتطلّب منّا العمل أكثر على مد الجذور بيننا وبين ثقافات الآخرين، وما هذا الجهد المتواضع سوى مساهمةٍ في سبيل تحقيق هذا الهدف. الحكاياتُ كلماتٌ والكلماتُ وحدَها هي الخيرُ الحقيقيُّ كما قال الشاعر الآيرلندي ييتس ذات مرة.

نوح ابراهيم

تمهيد

إنه الأصيل في حديقتي البرازيلية. بهتت زرقة البحر والسماء المدوِّخة التي تُميِّز الظهيرة الاستوائية، وبدأت تدرجات اللون الوردي بالإعداد للمغيب الفاتن. تزحف عَظَاءةٌ بكسل متسلقةً الجدار الكلسي. يُسمع غناء السابيا، طائر السمّن البرازيلي البديع، من شجرة النخيل الملكي[1]. والهواء مضمَّخٌ بعطر زهر البرتقال. لا يدوم الغسق طويلاً في المنطقة الاستوائية. وسرعان ما سيثب الليل فجأة على حديقتي البرازيلية خارجاً من فتنة سماء المغيب.

تقف تيريزا، المربِّية، أمامنا على المصطبة تحت شجرة المانغو. فنعرف نحن، ابن سيدها وابنته، أن ساعة الحكاية قد حَلَّت. تيريزا، ابنة الأكواخ الطينية تحت أشجار النخيل، المربِّية في منزل السيدة الأجنبية، هي ملكة أرض الحكايات. تكسر الحيوانات صمتَها لأجلها وتتكلم مثل البشر. وتقف كل العجائب السحرية أمامها كحقائق حية. يتأرجح جسدها الرشيق إلى الأمام والخلف

(1) النخيل الملكي: نوع من النخيل ينمو في القارة الأمريكية، يزرع خاصةً لتزيين الشوارع (م).

على إيقاع كلماتِها حين تكشف حكاياتِها لنا. هي صورة للذكرى وهي تقف تحت أشجار المانغو على مصطبتنا. قميصها الناصع البياض مزين بتخاريم جميلة من صنع يدها. تنورتُها المصنوعة من قطنٍ منشى يابس حمراء وبنفسجية اللون. وقد استراح على كتفها شالٌ قرمزيٌّ على شكل ثنايا زهرة، وزينت خيطانٌ جميلةٌ من الخرز أبنوس رقبتها وذراعيها. أن نجلس بين يدي تيريزا، المربِّية، يعني ولوج بوابة أرض الحكايات.

ايلزي سبايسر ايلز

كيف أتى الليل؟

قبل عصور وعصور، في أول الزمن، في بداية الخلق، لم يكن ثمة ليل. كان النهار طوال الوقت. وما سمع أحدٌ قَط بالشروق أو الغروب، بضوء النجوم أو بشعاع القمر. لم تكن طيور ليل، ولا حيوانات ليل، ولا زهور ليل، لم تكن ظلال متطاولة، ولا هواءُ ليلٍ رقيقٍ مضمَّخٍ بالعبير.

في تلك الأيام، تزوجت ابنة ثعبان البحر العظيم التي كانت تسكن في أعماق البحار، من أحد أبناء الجنس الأرضي العظيم اسمه «مان». فغادرت بيتها الواقع في ظلال البحار العميقة وجاءت لتقيم مع زوجها في أرض النهار. أضحت عيناها مرهقتين من ضوء الشمس الساطع وبدأ يذوي جمالها. راقبها زوجها بعينين حزينتين، ولكنه لم يدر ما يفعل ليساعدها.

ندبت وهي تتقلب متعبة على سريرها: «آه، فقط لو يأتي الليل، هنا نهارٌ دوماً، ولكن في مملكة أبي ثمة الكثير من الظلال. آه، فقط لو قليلٌ من عتمة الليل!».

استمع زوجها إلى أنينها، ثم سألها: «ما هو الليل؟ أخبريني عنه وقد أستطيع أن أجلب لك القليل منه».

قالت ابنة ثعبان البحر العظيم: «الليل هو الاسم الذي نمنحه للظل الكثيف الذي يعتِّم مملكة أبي في أعماق البحار، أحب ضوء شمس يابستكم، ولكنه يتعبني باطضطراد. لو كان بمقدورنا الحصول على قدرٍ ضئيلٍ من عتمة مملكة أبي لنريح أعيننا قليلاً».

استدعى زوجها على الفور ثلاثة من أكثر عبيده ولاءً وقال لهم: «سوف أرسلكم في رحلة إلى مملكة ثعبان البحر العظيم التي تقع في أعماق البحار، وعليكم أن تطلبوا منه أن يعطيكم بعض عتمة الليل لعلَّ ابنته لا تموت بسبب ضوء الشمس على يابستنا».

انطلق العبيد الثلاثة إلى مملكة ثعبان البحر العظيم. بعد رحلة طويلة محفوفة بالمخاطر وصلوا إلى بيته في أعماق البحار وطلبوا منه أن يمنحهم بعض ظلال الليل ليحملوها إلى اليابسة. أعطاهم ثعبان البحر العظيم على الفور كيساً ممتلئاً ربطه بإحكامٍ وحذّرهم ألا يفتحوه قبل أن يصبحوا في حضور ابنته.

انطلق العبيد الثلاثة. حاملين الكيس الكبير المليء بالليل على رؤوسهم. سرعان ما سمعوا أصواتاً غريبةً داخل الكيس. كانت

أصوات كل حيوانات الليل وطيوره وحشراته. وإذا كنت سمعت كورس الليل ينبعث من الغابات على ضفاف الأنهار فستعرف كيف بدا لهم ذلك الصوت الذي لم يسمعوا مثيلاً له في حيواتهم قطّ. فخافوا أشدّ الخوف.

قال العبد الأول: «فلنرم الكيس المليء بالليل هنا ونهرب بأقصى سرعة ممكنة».

صرخ العبد الثاني: «سنهلك، سنهلك، على كل حال، مهما فعلنا».

وقال العبد الثالث: «سواء هلكنا أم لا، سأفتح الكيس وأرى ما الذي يصدر كل هذه الأصوات الرهيبة».

وهكذا وضعوا الكيس على الأرض وفتحوه. فاندفعت خارجةً جميع حيوانات الليل وطيوره وحشراته، كما اندفعت خارجةً غيمةُ الليل الكبيرة السوداء. وشعر العبيد بالفزع في العتمة أكثر من قبل بكثير ففرّوا إلى الغابة.

كانت ابنة ثعبان البحر العظيم تنتظر قلقة عودة العبيد بالكيس الملآن بالليل. مذ انطلقوا في رحلتهم، تطلّعتْ إلى عودتهم، مظللة عينيها بيدها ومحدقة في الأفق، آملةً من كل قلبها عودتهم

سريعاً ومعهم الليل. وكانت واقفة على هذه الحال تحت شجرة النخيل الملكي حين فتح العبيد الثلاثة الكيس وتركوا الليل يفلت. فصرخت حين أبصرت غيوم الليل في الأفق: «يأتي الليل، يأتي الليل أخيراً». ثم أغمضت عينيها ونامت هناك تحت الشجرة.

حين استيقظت شعرت بانتعاش رائع. عادت من جديد الأميرة السعيدة التي غادرت مملكة أبيها في أعماق البحار العظيمة لتأتي إلى اليابسة. وباتت مهيأة عندئذ لرؤية النهار ثانية. نظرت إلى الأعلى، إلى النجمة الساطعة المتألقة فوق شجرة النخيل وقالت: «أيتها النجمة الساطعة، من الآن فصاعداً سيكون اسمك نجمة الصبح وستبشّرين بقدوم النهار. ستحكمين ملكةً على السماء في هذه الساعة».

ثم استدعت كل الطيور حولها وقالت لها: «أيتها الطيور المغردة الخلابة، آمرك من الآن فصاعداً أن تغني أعذب أغانيك في هذه الساعة لتعلني اقتراب النهار».

وكان الديك واقفاً بجانبها. فقالت له: «ستُعَيَّن أنت خفيراً الليل. سيحدد صوتك ساعات الليل وسينبه الآخرين إلى مجيء الصبح».

وفي البرازيل، حتى يومنا هذا، نسمي ساعة الفجر

madrugada[1]. يعلن الديك اقترابَها للطيور المنتظرة. تغني الطيور أعذب أغانيها في تلك الساعة ونجمة الصبح تحكم السماء كملكةٍ للفجر.

حين عاد النهار، انسلَّ العبيد الثلاثة إلى وطنهم عبر الغابات والأدغال حاملين كيسهم الفارغ.

قال لهم سيدهم: «أيها العبيد الخونة، لِمَ لَمْ تطيعوا أمر ثعبان البحر العظيم بألا تفتحوا الكيس إلا في حضور ابنته؟ بسبب عصيانكم سأحولكم إلى قردة. من الآن فصاعداً ستعيشون على الأشجار. ستحمل شفاهكم دوماً علامة شمع الختم الذي ختم الكيس المليء بالليل».

وإلى يومنا هذا، يرى المرء العلامة على شفاه القردة التي عضوا بها الشمع الذي ختم الكيس، وفي البرازيل ينتشر الليل سريعاً على الأرض مثلما انتشر سريعاً خارجاً من الكيس في تلك الأيام، عند بداية الزمن.

وكل حيوانات الليل وطيوره وحشراته تنشد نشيد المغيب في الغابات عند هبوط الليل.

(1) وردت بالبرتغالية في النص الأصلي وتعني الكلمة: ساعة الفجر أو بزوغ النهار (م).

كيف فقدَ الأرنبُ ذيلَه؟

كان يا ما كان، قبل عصورٍ وعصور، كان للأرنب ذيل طويل، ولم يكن للقطة ذيل. فنظرتْ هذه بعينٍ حاسدةٍ إلى ذيل الأرنب. كان تماماً من النوع الذي تتوق لامتلاكه.

لطالما كان الأرنب طائشاً غير مبال. وذات يوم أخلد إلى النوم وقد تدلى منه ذيله الطويل الجميل. فجاءت السيدة قطة حاملةً سكيناً حادةً، وبضربة واحدة بترت ذيله. وكانت سريعة للغاية فاستطاعت أن تخيط الذيل إلى جسدها قبل أن يرى السيد أرنب ما كانت تفعل.

ثم سألته: «ألا تعتقد أنه يبدو أجمل عليّ مما هو عليك؟».

أجابها الأرنب الكريم الأريحي: «إنه بالتأكيد يناسبك تماماً. كان مفرط الطول بالنسبة إلي على كل حال وسأخبرك ما سأفعل. سأدعك تحتفظين به إذا أعطيتني تلك السكين الحادة مقابله».

أعطت القطة السيد أرنب السكين وانطلق إلى أعماق الغابة حاملاً إياها، وهو يقول: «خسرت ذيلي لكنني كسبت سكيناً، سأحصل على ذيلٍ جديدٍ أو شيءٍ آخرَ يُضاهيه».

وثب السيد أرنب في الغابة لمدة طويلة وصادف أخيراً شيخاً ضئيلاً يصنع السلال من نبات الأسل ويقطعها بأسنانه.

قال: «آه، رجاء، يا سيد أرنب، هلا كنت كريماً معي وأعرتني هذه الأداة الحادة التي تحمل؟ إنه عملٌ شاقٌ أن أقطع الأسل بأسناني».

أعطاه الأرنب السكين. فبدأ بتقطيع الأسل بها، حين فجأة انثلمت السكين ثم انكسرت إلى نصفين.

صرخ السيد أرنب: «يا الهي، يا الهي. ماذا أفعل! ماذا أفعل! لقد كسرت سكيني الجميلة الجديدة».

أعرب الشيخ عن أسفه وقال إنه لم يقصد ذلك.

ثم قال السيد أرنب: «لا فائدة من سكين مكسورة بالنسبة إلي ولكنك قد تستعملها، حتى وهي مكسورة. سأخبرك ما سأفعل. سأدعك تحتفظ بها إذا أعطيتني إحدى سلالك مقابلها».

أعطى الشيخ الضئيل سلة للسيد أرنب الذي انطلق إلى الغابة الكثيفة حاملاً إياها قائلاً: «فقدت ذيلي ولكني ربحت سكيناً. فقدت سكيني ولكني كسبت سلةً. سأحصل على ذيل أو شيء آخر يضاهيه».

راح السيد أرنب يقفز في أعماق الغابة لمدة طويلة حتى وصل إلى فسحة مقطوعة الشجر وجد فيها عجوزاً منشغلة بقطاف الخس. بعد جمعها، كانت تضعها في مئزرها. رفعت بصرها واختلست النظر إلى السيد أرنب وهو يقفز حاملاً سلته.

«آه، رجاء يا سيد أرنب، هلا تكرمت عليّ وأعرتني هذه السلة؟».

أعطاها الأرنب السلَّة. فبدأت بوضع الخس فيها حتى تمزّق قَعرُها. صرخ الأرنب: «يا الهي، يا الهي. ماذا أفعل! ماذا سأفعل! لقد مزّقت قعر سلتي الجميلة الجديدة».

أعربت العجوز عن أسفها وقالت إنها لم تقصد ذلك.

ثم قال السيد أرنب: «سأخبرك ما سأفعل. سأدعك تحتفظين بالسلة المزقة إذا أعطيتني بعضاً من الخسّ».

أعطت العجوز السيدَ أرنب بعضاً من الخسّ فراح يقفز بها، قائلاً: «فقدت ذيلي ولكني كسبت سكيناً. خسرت سكيني ولكني ربحت سلة. خسرت سلتي ولكني حصلت على بعض الخس».

كان الأرنب جائعاً جداً وكم شهيةً كانت رائحةُ الخس! فأخذ قضمة. كان طعمه أفضل ما تذوّقهُ طوال حياته. قال: «لا أكترث إن كنت فقدت ذيلي. وجدت شيئاً أحبه أكثر بكثير».

منذ ذاك اليوم وحتى يومنا هذا لم يعد للأرنب ذيلٌ. ولا اكترث أرنب لأنه لا يملك ذيلاً. ومنذ ذاك الزمان وحتى يومنا هذا ليس من أرنب يكره أكل الخس أو لا يشعر بالرضى والسعادة إذا ما توافر له.

كيف أصبح للضفدع بُقَع؟

قبل عصور وعصور، كان للضفدع جلد ناعم. وقد عرف بحبّه الشديد للهو، حتى إنه كان يصعب العثور عليه في بيته، وإذا سمع بإقامة حفلة ما في مكان ما فمن المؤكد أن يذهب إليها، مهما كانت بعيدة، ومهما لزمه من الوقت للوصول إليها.

تلقى الضفدع ذات يوم دعوة لحضور حفلة في السماء. قال له صديقه آكل النمل[1]: «لن تستطيع الذهاب إلى تلك الحفلة. أنت تعلم كم تتحرك ببطء هنا على الأرض».

قال الضفدع: «انتظر وسترى ما إذا كنت سأذهب أم لا».

كان صقر أسود كبير يعيش غير بعيد من منزل الضفدع. لم يحب أحدٌ الصقر. وكان عديم الشعبية بين كافة الطيور والحيوانات. فقفز الضفدع إلى بيت الصقر ووجده واقفاً أمام الباب يعزف على الكمان.

(1) حيوان يُعرف بالمُدَرَّع، يعيش في القارة الأمريكية وفي بعض المناطق الاستوائية. يمتاز بقوته وبدرع عظمية تغطي ظهره (م).

قال الضفدع: «صباح الخير يا صديقي الصقر. هل ستحضر الحفلة في السماء؟».

أجاب الصقر بالإيجاب.

قال الضفدع: «هذا جيد. هل يمكنني أن أتشرّف بمرافقتك؟».

سرّ الصقر لأن الضفدع يطلب رفقته، وهو أمر جديد عليه، فقال: «يفرحني جداً أن أذهب للحفلة معك. متى ننطلق؟».

قال الضفدع: «في الساعة الرابعة. تعال إلى بيتي وسوف نمضي من هناك. كن حريصاً على أن تجلب كمانك معك».

وصل الصقر إلى بيت الضفدع في الرابعة بالتمام. وكان كمانه معه بالطبع، لأن الضفدع طلب منه إحضاره.

نادى الضفدع: «لست جاهزاً تماماً للذهاب. اترك كمانك عند الباب وادخل. سأنتهي من حمّامي في غضون دقيقة واحدة».

وضع الصقر كمانه بعناية خارج الباب ودخل بيت الضفدع. قفز الضفدع من النافذة واختبأ داخل الكمان.

انتظر الصقر وانتظر أن يتجهز الضفدع ولكنه لم يسمع كلمة منه. وأخيراً تَعِب من الانتظار. فحمل كمانه ومضى.

تأخر الصقر في الوصول إلى الحفلة بعض اشليء، لكنه برّر ذلك باضطراره إلى انتظار الضفدع.

قال مضيفوه: «كم أحمقٌ أن تنتظر الضفدع دقيقة. كيف يمكن للضفدع أن يصل إلى حفلة في السماء؟ سألناه الحضور مازحين لأنه متسكعٌ عظيم. ضع كمانك وتعال إلى المأدبة».

وضع الصقر كمانه. فقفز الضفدع خارجاً حالما عرف أن لا أحد ينظر. راح يضحك ملء شُدقيه، قائلاً: «إذاً كانوا يحسبون أنني لن آتي إلى الحفلة! يا لها من مزحة! كم سيتفاجؤون برؤيتي هنا!».

لم يكن أحدٌ سعيداً في الحفلة مثلما كان الضفدع. حين سأله الصقر كيفَ وصَل قال: «سأخبرك يوماً ما». ثم تابع الأكل والرقص. أما الصقر فلم يستمتع كثيراً في الحفلة فقرر العودة إلى البيت مبكراً. ورحل من دون أن يودع مضيفه أو يأخذ كمانه معه. قفز الضفدع إلى داخل الكمان في نهاية الحفلة وانتظر أن يعيده الصقر إلى البيت. لكنّ أحداً لم يحمل الكمان وبدأ الضفدع يشعر بالقلق الشديد. بل كاد يتمنى لو لم يأتِ.

لاحظ الباز الكمان بعد قليل، فقال: «ذاك الكمان يعود للصقر. لابدّ من أنه نسيَ أن يأخذه معه. سأحمله إليه». طار الباز صوب الأرض حاملاً الكمان. ارتجَّ الضفدع كثيراً داخل الكمان. تعِب. وتعِب الباز أيضاً.

قال الباز: «لن أحمل هذا الكمان الثقيل القديم ولا دقيقة أخرى. كنت أحمقَ إذ عرضت حمله منذ البداية. ليس الصقر صديقاً لي». وترك الكمان يسقط نحو الأرض.

نادى الضفدع وهو يسقط: «أيتها الحجارة الصغيرة، أيتها الحجارة الصغيرة، ابتعدي عن طريقي». كانت آذان الحجارة صماءَ. فلم تبتعد عن الطريق.

حين زحف الضفدع خارجاً من الكمان المحطم كان مغطىً بالكدمات لدرجة أنه قفز عائداً إلى البيت بمشقّة كبيرة.

لم يعرف الصقر قطّ ما الذي حلّ بكمانه أو لماذا فقدَ الضفدع جماله. وحتى يومنا هذا تظهر الكدمات على جسم الضفدع الذي قد شُفيَ تماماً من حبه المفرط للهو.

كيف صار النمر مخططاً؟

كان يا ما كان، قبل عصور وعصور، حين كان لا يزال للأرنب ذيل ولم يكن للنمر خطوط على ظهره، امتلك نمرٌ مزرعة. وكانت هذه مليئة بالأعشاب البرية وأراد النمر عاملاً يعزق له الأرض لكي يزرعها. فاستدعى جميع الحيوانات وقال لها: «أحتاج إلى عامل جيد على الفور لينظف مزرعتي من الأعشاب البرية، وسأقدّم ثوراً لمن سيقوم بالمهمة منكم».

كان القرد أول من تقدم للوظيفة. جرّبه النمر لفترة ولكنه لم يكن عاملاً جيداً على الإطلاق. لم يعمل بشكل منتظَم بما فيه الكفاية لإنهاء أي شيء. فأعفاه النمر سريعاً من منصبه ولم يدفع له.

ثم وظّف جدياً ليقوم بالعمل. وقد عمل الجدي بإخلاص كاف لكنه لم يمتلك الفطنة لإنهاء العمل بشكل جيد.

فكان ينظف القليل من الأرض في بقعة ما ثم يمضي ليعمل في بقعة أخرى. ما أتقن إنهاء شيء البتة. فأعفاه النمر من عمله سريعاً ولم يدفع له.

لاحقاً، جرب النمر آكلَ النمل الذي برهن أنه عامل قوي مجتهد. لكن كانت مشكلته الوحيدة شهيته العظيمة. فلم يكن يستطيع رؤية نملةٍ حلوة، رقيقة وطرية دون أن يتوقف ويأكلها. فكان اليوم بطوله وقتَ الغداء بالنسبة له. فتخلى عنه النمر وطرده من دون أن يدفع له.

تقدم الأرنب للوظيفة في النهاية. ضحك النمر منه وقال: «عجباً، أيها الأرنب، أنت صغير جداً للقيام بالعمل الذي أخفق القرد والجدي وآكل النمل في إنجازه. وبالطبع حيوانٌ صغيرٌ مثلك سيخفق أيضاً».

ولكن لم يتقدم أي حيوان آخر بطلب الوظيفة لذا استدعى النمرُ الأرنبَ وأخبره أنه سيجرّبه لفترة قصيرة.

عمل الأرنب بإخلاص وإتقان، وبسرعة نظف بقعة كبيرة من الأرض. وفي اليوم التالي عمل بالوتيرة نفسهل. فكّر النمر أنه كان محظوظاً جداً باستئجار الأرنب الذي بدا عارفاً تماماً كيف

يقوم بالعمل من دون توجيهات، لذا قرر النمر الذهاب في رحلة صيد. وتَرَك ابنه ليشرف على عمل الأرنب.

بعد أن مضى النمر، قال الأرنب لابن النمر: «يمتاز الثور الذي سيعطيني إياه والدك ببقعة بيضاء على أُذنه اليسرى وأُخرى على الجانب الآخر، أليسَ كذلك؟».

أجاب ابن النمر: «لا، انه أحمر بالكامل ما عدا بقعة صغيرة على أُذنه اليمنى».

عمل الأرنب مدة أطول ثم قال: «الثور الذي سيعطيني إياه والدك محفوظ* قرب النهر، أليسَ كذلك؟».

«نعم».

وضع الأرنب خطة ليذهب ويأخذ الثور من دون أن ينتظر إنهاء عمله. وما إن همَّ بالذهاب، حتى رأى النمر عائداً. وقد لاحظ الأخير أنه لم يعمل بالجودة نفسها في أثناء غيابه. بعدها بقي وراقب الأرنب حتى عزق المزرعة بالكامل، ثم أعطاه الثورَ كما وعد.

قال للأرنب: «يجب أن تقتل هذا الثور في مكان لا يوجد فيه ذباب أو بعوض».

مضى الأرنب مع الثور. بعد أن قطع مسافة، فكَّر بقتله لكنه سمع ديكاً من بعيد وعرف أنه ثمة بالتأكيد مزرعة قريبة. سيكون هناك ذباب بالطبع. مضى أبعدَ وفكر مجدداً بقتل الثور. بدت الأرض رطبة وندية وكذا بدت الأوراق على الأغصان. ولأن الأرنب فكر أنه سيكون هناك بعوض، فقد قرر ألا يقتل الثور هناك. مضى قُدُماً حتى وصل إلى مكانٍ عالٍ يهب فيه نسيمٌ قويٌّ. قال لنفسه: «لا بعوض هنا، والمكان بعيد جداً عن أي مكان مأهول، فلا وجود للذباب أيضاً». فقرر قتل الثور هناك. وبينما يتهيّأ لأكل الثور، جاء النمر، وقال له: «أيها الأرنب، لقد كنت صديقاً عزيزاً جداً لي، والآن أنا جائع جداً لدرجة أن كل ضلوعي تظهر، كما ترى بنفسك. ألن تكون أرنباً طيباً لطيفاً وتعطيني قطعة من ثورك؟».

أعطى الأرنب قطعة من الثور للنمر. التهمها النمر في غمضة عين. ثم انحنى إلى الوراء وقال: «أهذا كل ما ستعطيني إياه لآكله؟».

بدا النمر كبيراً جداً ومتوحشاً فلم يتجرَّأ الأرنب أن يرفض إعطاءه المزيد من الثور. أكل النمر وأكل حتى التهم الثور كله. حصل الأرنب على لقمة صغيرة منه وكان غاضباً جداً من النمر.

بعدَ أيام قلائل، ذهب الأرنب إلى مكان غيرِ بعيد عن بيت النمر وبدأ باقتطاع عِصيٍّ من الخشب. وسرعان ما أتى النمر وسأله عما يفعله. قال الأرنب: «هذا غريبٌ جداً. صدر الأمر أنه على كل حيوان أن يبني سياجاً حوله ليتحصَّن، وجميع الحيوانات تقوم بذلك».

ذُعر النمر أشدّ الذعر: «يا الهي! يا الهي! ماذا أفعل، لا أعرف كيف أبني سياجاً. لم أفعل ذلك من قبل. أيها الأرنب الطيب! أيها الأرنب اللطيف! أنت صديق حميم لي. ألا تستطيع أن تقدّم لصداقتنا هذه الخدمة الجليلة وتبني لي سياجاً قبل أن تبني واحداً لنفسك؟».

أجاب الأرنب أنه لا يستطيع المخاطرة بحياته ببناء سياج النمر أولاً. لكنه وافق في النهاية على ذلك. اقتطع الأرنب أعداداً كبيرة من العيدان الطويلة الحادة. وثبّتها بإحكام حول النمر. ومرَّر أُخرى مُحكَمة أعلاها حتى أصبح النمر مسجوناً تماماً بقضبانٍ قوية. ثم غادر وترك النمر.

انتظر النمر وانتظر أن يحصل شيء يبرهن له عن الحاجة إلى تلك التحصينات. ولم يحدث أي شيءٌ إطلاقاً.

جاع كثيراً وعطِش. بعد فترة مرَّ القرد.

نادى النمر: «أيها القرد، هل انتهى الخطر؟».

لم يعرف القرد أيَّ خطرٍ عَنَى النمر لكنه أجاب: «نعم».

عندها قال النمر: «أيها القرد، أيها القرد الطيب الكريم، ألا تشفق عليّ رجاءً وتساعدني على الخروج من هنا؟».

أجاب القرد: «دَع ذاك الذي أدخلك يساعدك على الخروج»، ومضى في طريقه.

ظهر الجدي فنادى النمر: «أيها الجدي، هل انتهى الخطر؟».

لم يعرف الجدي أيَّ شيء عن أيّ خطر، لكنه أجاب: «نعم».

عندها قال النمر: «أيها الجدي الكريم، أرجوك كن عطوفاً وساعدني على الخروج من هنا؟».

أجاب الجدي متابعاً طريقه: «دَع ذاك الذي أدخلك يساعدك على الخروج».

ثم ظهر آكل النمل فنادى النمر: «يا آكل النمل الطيب الكريم، لطالما كنت صديقاً وجاراً طيباً. أرجوك ساعدني على الخروج من هنا».

أجاب آكل النمل متابعاً طريقه: «دَع ذاك الذي أدخلك يساعدك على الخروج».

قفز النمر وقفز بكل قوته إلى أعلى السياج، ولكنه لم يستطع اختراقه. قفز وقفز بكل جبروته في الجانب الأمامي منه. ولكنه لم يستطع اختراقه. فكّر أنه لن يستطيع الخروج البتة. استراح لفترة قصيرة وفي الأثناء لأخذ يفكّر كم الشمس مشرقةٌ في الخارج، وكم من الصيد وفير في الغابة، وكَم الماء بارد عند الينبوع. ومرةً أُخرى قفز وقفز بكل طاقته في الجانب الخلفي من السياج، وتمكّن أخيراً من اختراقه. ولكنه لم يخرج دون أن يصاب بجروح بليغة على كشحيه بسبب الحواف الحادة للعيدان. وحتى يومنا هذا، للنمر خطوط على كشحيه جراء الإصابة في ذلك اليوم.

لماذا الحملُ وديع؟

كان يا ما كان، كان هناك حمل صغير يتراقص مَرَحاً حول المرعى. فقد أشعرته الشمس المشرقة والنسيم العليل بسعادة فائقة. وكان قد أنهى للتو وجبة هنية وجعله هذا سعيداً أيضاً. كان أسعد حمل صغير في العالم كله وظنّ أنه أجمل حمل صغير.

جلس ضفدع ضخم على الأرض وراقبه. بعد وهلة قال له: «أيها الحمل الصغير، كيف حالك اليوم؟».

أجاب الحمل أنه لم يشعر بنفسه أفضل حالاً قطّ.

قال الضفدع: «رغم أنك تشعر بنفسك قوياً جداً، إلا أني أستطيع جَرَّك إلى البحر». ضحك الحمل الصغير وضحك حتى تدحرج على الأرض.

قال الضفدع: «فقط أمسك بهذا الحبل وسأريك كم هو سهلٌ أن أجُرَّك إلى البحر». أمسك الحمل بالحبل. ثم قال الضفدع: «أرجوك انتظر دقيقة ريثما آخذ مسافة طويلة كافية بعيداً عنك.

أستطيع السَّحب أكثر حين لا أكون قريباً جداً منك».

انتظر الحمل وقفز الضفدع صوب البحر. قفز إلى شجرة مُطلَّة على ضفة الماء ومن هناك قفز على ظهر الحوت. لفَّ نهاية الحبل حول الحوت ثم نادى الحمل: «أنا جاهز. سنرى الآن كم تستطيع السَّحب بقوة».

حين شعر الحوت بالحمل يجرُّ الحبل، سبح بعيداً عن الشاطئ. مهما سحب الحمل الحبل بقوةٍ أو بذل جهداً، لم يُفِد ذلك قَيد شعرة. بل سُحب إلى حافة الماء بأسهل ما يمكن. قال الحمل حين وصل إلى حافة الماء: «أستسلم».

بعدها، رغم أن ضوء الشمس كان ساطعاً مثلما دوماً، بات واضحاً لكل من رأى الحمل الصغير أنه صار أكثر وداعة.

بعدها بأيام قلائل، كان ضوء الشمس ساطعاً أيضاً وكان الحمل الصغير مَرِحاً جَذِلاً حتى إنه نسي تماماً كل ما يتعلق بالضفدع وما فعله من جره إلى الماء، حتى تكلم معه الضفدع، حينها تذكَّر.

سأل الضفدعُ: «أيها الحمل الصغير، كيف حالك اليوم؟».

أجاب الحمل بأنه على خير ما يُرام.

قال الضفدع: «دعنا نتسابق. أظن أني أستطيع أن أهزمك».

قال الحمل: «قد تكون قوياً كفايةً لتجرَّني إلى البحر، ولكني بالتأكيد أستطيع الركض أسرع منك. رأيتك تقفز حول المرعى. لا تستطيع قطّ الركض بسرعة. لكنني سأسابقك بكل سرور لأبرهن ما أقول».

حدَّد الضفدع هدفاً وطلب من الحمل أن ينادي بين فينة وأخرى خلال السباق ليستطيع أن يعرف كم أبتعدَ الحمل قُدُماً. ثم انطلقا. جمع الضفدع كل إخوانه وأخواته وأقاربه وأعمامه وعماته قبل أن يبدأ السباق ووضعهم في محطات مختلفة على طول طريق السباق. أخبرهم أنه حينما يسمع أحدهُم الحملَ ينادي «لاكولي، لاكولي، لاكولي»، على أقرَبِهم إليه أن يجيب «غولوغوبانغو، بانغولي».

ركض الحمل وركض بالسرعة التي يستطيع. ثم تذكَّر وعده ونادى «لاكولي،لاكولي،لاكولي». توقَّعَ أن يسمع الضفدعَ ينادي من مسافة بعيدة وراءه.

وكم كانت دهشته كبيرة حين سمع أحدهم قريباً يجيب: «غولوبانغو، بانغولي». بعدها ركض أسرع من ذي قبل.

وبعد وقت، نادى من جديد: «لاكولي، لاكولي، لاكولي». ومجدداً سمع الجواب من مسافة تبعد قليلاً: «غولوغوبانغو، بانغولي». ركض وركض، حتى أصبح قلبه الصغير يدق بسرعة لدرجة أنه شعر أنه سينفجر. وصل أخيراً إلى الهدف الذي حدَّده الضفدع وهناك كان يجلس شقيق الضفدع الذي بدا شبيهاً به لدرجة أن الحمل لم يميِّز بينهم.

عاد الحمل إلى مرعاه بكل وداعة وهدوء. عَرف أنه هُزم في السباق.

في الصباح التالي قال له الضفدع: «على الرغم من أنك لم تركض بالسرعة الكافية للفوز في السباق، إلا أنك ما زلت عدَّاءً سريعاً. أخبرت ابنة الملك عنك وقلت لها إنها ستراني يوماً ما راكباً على ظهرك واللِّجام في فمك كأنك حصاني».

كان الحمل مستاءً جداً فقال: «ربما تكون قوياً بما يكفي لتجرَّني إلى البحر، وربما تهزمني حين نتسابق، ولكني لن أكون حصانك على الإطلاق».

مرَّت بضعة أيام، وأشرقت الشمس ناصعة مبهجة وهبّ النسيم عذباً عليلاً. فشعر الحمل بالسعادة مجدَّداً لدرجة أنه نَسيَ كيف جرَّه الضفدع إلى البحر وكيف غلبه في السباق. لا إنه أشفق كثيراً عليه حين رآه محدودباً متكوماً يائساً ذات يوم. فسأله: «أيها الضفدع المسكين، أمريضٌ أنت؟ أثمة ما أستطيع مساعدتك به؟».

أخبره الضفدع كم هومريضٌ. قال: «هناك ما تستطيع فعله لتساعدني، ولكني لا أعتقد أنك تتمتع بالقوة أو السرعة الكافية». أخَذ الحمل نَفَساً عميقاً ونفخ صدره وقال: «سأريك، أخبرني فقط ما الأمر».

أجاب الضفدع أنه وَعَد أن يذهب إلى حفلة ظهيرة ذاك اليوم في بيت ابنة الملك وأنه لا يدري كيف سيصل إلى هناك أبداً ما لم يحمله أحد.

قال الحمل: «اقفز على ظهري، وسأحملك».

ترجرج الضفدع على ظهر الحمل بعد أن انطلقا لدرجة أنه شعر أنه سيسقط لا محالة. بعد هنيهة قال: «لن أستطيع البتة تحمل هذا، فجميع قروحي تؤلمني. سيتوجَّب علي الترجُّل». وحاول الحمل لوهلة أطول واهتز أكثر من ذي قبل. حينها قال الضفدع:

«أتعرف، أعتقد أني سأستطيع تحمُّلَ هذا الامتطاء المؤلم بشكل أفضل إذا كان لدي ما أتمسَّك به؟ هل تمانع إن أخذت قطعةً من العشب ووضعتها في فمك؟ أستطيع التمسك بها حين أهتز ولن تؤلمني بقعي المتقرحة كثيراً».

سنح الحملُ للضفدع بوضع قطعةً من العشب في فمه.

طلب الضفدع بعد برهةٍ عصاً. قال: «يزعجني الذباب والبعوض جداً، فقط لو كانت لدي عصاً صغيرة لكنت لوَّحت بها فوق رأسي وأخفتها لتبتعد. من السيئ جداً لامرئٍ في حالتي الضعيفة، القلقة أن يضايقه الذباب والبعوض». سمح الحمل للضفدع أن يأخذ عصاً صغيرة ليلوِّح بها فوق رأسه. وأخيراً اقترب الحمل والضفدع من قصر الملك. وكانت ابنة الملك وراء النافذة تترقَّبهما. نكز الضفدع بقدميه على جنبي الحمل، سَحَب قطعة العشب التي في فمه بقوةٍ، ولوَّح بالعصا فوق رأس الحمل قائلاً: «تقدم، أيها الحصان»، وسمعته ابنة الملك. ضحكت وضحكت، وحين أبصرَ بقيةُ الناس في القصر الضفدعَ يصل راكباً على ظهر الحمل ويقوده كحصان، ضحكوا أيضاً.

ذهب الحمل بوداعةٍ إلى مرعاه، ومنذ ذلك اليوم، حين يودُّ المرءُ أن يصف شخصاً وديعاً يقول إنه: «وديعٌ كالحمل».

لماذا يخاف النمر والأيل واحدهما من الآخر؟

كان يا ما كان، كان هناك أيلٌ كبير جميل ذو قرونٍ كبيرة متفرّعة. قال لنفسه ذات يوم: «سئمت من عدم امتلاكي بيتاً يخصُّني، ومن اضطراري إلى الترحال من مكان لآخر. سأبني لنفسي بيتاً». بحث فوق كل تلَّة، وفي كل وادٍ، قُربَ كل جدولٍ، وتحت كل شجرة عن مكان مناسب. في النهاية وجد مكاناً ممتازاً. لم يكن عالياً جداً ولا منخفضاً جداً، لا قريباً جداً من الجدول ولا بعيداً جداً عنه، ليس تحت أشجارٍ كثيفةٍ جداً ولا بعيداً عنها تحت الشمس الحارة. فقال: سأبني بيتي هنا»، وبدأ فوراً بتنظيف المكان، وظلّ يعمل طوال اليوم ولم يرحل حتى هبط الليل.

وكان يعيش في البلد نفسه نمرٌ ضخمٌ جميل ذو أنياب حادةٍ حادة وعينان لامعتان وحشيتان. ذات يوم قال لنفسه: «سئمت عدم امتلاكي بيتاً يخصُّني، واضطراري إلى الترحال! سأبني لنفسي بيتاً». وهكذا بحث النمر عن مكان ليبني فيه بيته. بحث على كل تلَّة، وفي كل وادٍ، قرب كل جدولٍ، وتحت كل شجرة.

وفي النهاية وجد مكاناً ممتازاً. لم يكن عالياً جداً ولا منخفضاً جداً، لا قريباً جداً من الجدول ولا بعيداً جداً عنه، ليس تحت أشجارٍ كثيفة جداً ولا بعيداً عنها تحت الشمس الحارقة. فقال النمر لنفسه: «سأبني بيتي هنا. المكان كلُّه مهيَّأ لي إذ لا توجد شجيراتٌ كثيرةٌ هنا». بدأ على الفور وأنهى تنظيف المكان. ثم حلَّ النهار فرحل.

في النهار عاد الأيل للعمل في بيته الجديد. وحين رأى التنظيف قال لنفسه: «همم، أحدهم يساعدني. المكان نظيف ومهيَّأٌ لي لوضعِ الأساس».

بدأ العمل على الفور واستغرق فيه طوال النهار. ومساءً، حين أتمَّ وضع الأساس، رحل. في الليل عاد النمر ليعمل في بيته الجديد. نظر إليه وقال لنفسه: «همم، أحدهم يساعدني، وقد وَضع الأساس لمنزلي». بدأ العمل على الفور وبنى جدران البيت. عمل طوال الليل ورحل عند الفجر، تاركاً البيت مكتمل الجدران. وأصبح هنالك باب كبير ونافذة صغيرة مضحكة.

عند الفجر، جاء الأيل ليعمل في بيته. وحين أبصره فرك عينيه معتقداً أنه يحْلُم. فقد وجد جدران البيت مكتملةً مع بابٍ كبيرٍ ونافذةٍ مضحكة. قال لنفسه وهو يهمُّ بوضع السقف: «لابدَّ

من أن أحدهم يساعدني». عمل بجدٍ طوال النهار وحين غابت الشمس، بات هنالك سقفٌ من العشب اليابس فوق البيت. فقال الأيل: «أستطيع النوم في بيتي الخاصِّ الليلةَ». ثم أعدَّ سريره في الزاوية وسريعاً غطَّ في النوم. في الليل عاد النمر ليعمل في بيته الجديد. وحين رآه فرك عينيه معتقداً أنه يحلم. كان ثمَّة سقفٌ من العشب اليابس فوق البيت. فقال النمر لنفسه وهو يدخل من الباب: «لابدَّ من أن أحدهم يساعدني». كان أوَّل ما رآه حين دخل هو الأيل غارقاً في النوم على سريره في الزاوية. قال النمر بنبرةٍ خفيضة: «من أنت وماذا تفعل في بيتي؟».

استيقظ الأيل مجفلاً. وردّ بنبرة خفيضة أيضاً: «بل من أنت وماذا تفعل في بيتي؟».

قال النمر: «هذا ليس بيتك. بل بيتي. لقد بنيته بنفسي...».

قال الأيل: «إنه بيتي. لقد بنيته بنفسي...»

قال النمر: «أنا نظفت الأرض لبنائه. أنا بنيت الجدران وصنعت الباب والنافذة».

قال الأيل: «أنا بدأت التنظيف. أنا وضعت الأساس ووضعت السقف المصنوع من عشب يابس».

تشاجر الاثنان طوال الليل حول ملكية البيت. وعند الفجر قرَّرا أن يتشاركا العيش فيه. في الليلة التالية، قال النمر للأيل: «أنا ذاهب للصيد. فاجلب الماء وهيئ الحطب للنار. سأكون جائعاً جداً حين أعود».

هيَّأ الأيل الماء والحطب. بعد مدة عاد النمر وقد جلب معه للعشاء أيلاً جميلاً ضخماً. فقد الأيل شهيته تماماً ولم يغمض له جفنٌ تلك الليلة.

في اليوم التالي قال الأيل أنه ذاهب للصيد. أخبر النمر أن يجهِّز الماء والحطب حين يعود. جهَّز النمر الماء والحطب. سرعان ما عاد الأيل ومعه جثة نمرٍ ضخم.

قال الأيل: «أنا أتضوَّر جوعاً، دعنا نتعشَّى الآن حالاً».

فقَد النمر شهيته تماماً ولم يستطع أكل لُقمة.

لم يغمض لهما جفنٌ في تلك الليلة. كان النمر خائفاً أن الأيل سيقتله إذا أغمض عينيه للحظة، وكان الأيل خائفاً أن النمر سيقتله إذا نام أو حتى تظاهر بالنوم. ولذا بقي هو الآخر صاحياً تماماً.

عند الصباح تشنَّج الأيل نتيجة البقاء في وضعية واحدة لفترة طويلة فحرَّك رأسه قليلاً. وبقيامه بهذا، اصطدم قرناه بسقف البيت. صَدَر صوت مفزع. ظنَّ النمر أن الأيل على وشك الانقضاض عليه وقتله. وثب إلى الباب وهرب منه بكل ما لديه من سرعة. ركض وركض حتى أصبح بعيداً جداً عن البيت ذي السقف المصنوع من العشب اليابس.

ظن الأيل أن النمر على وشك الانقضاض عليه وقتله. وثب إلى الباب هو أيضاً، وركض وركض حتى أصبح بعيداً، بعيداً عن البيت ذي السقف المصنوع من العشب اليابس. ولا يزال النمر والأيل يهربان من بعضهما حتى يومنا هذا.

انتظرَ البيت ذو السقف المصنوع من العشب اليابس، انتظر هناك في المكان الذي لم يكن عالياً جداً ولا منخفضاً جداً، لا قريباً جداً من النهر ولا بعيداً جداً عنه، لا تحت أشجار كثيفة ولا بعيداً عنها تحت الشمس الحارة. انتظر وانتظر حتى أنهكه التعب وتداعى إلى رُكام.

كيف حصلت الدجاجة الرقطاء على رُقَطِها؟

كان يا ما كان، قبل عصور وعصور، كانت هناك دجاجة بيضاء صغيرة. ذات يوم كانت منشغلةً بنبش التربة باحثةً عن الديدان والحشرات لفطورها. غنَّت وهي تفعل ذلك مرةً وأخرى أغنيتَها المنغَّمة الصغيرة «كيريكي، كيريكي، كيريكي». لاحظت فجأةً ورقةً صغيرةً على الأرض. قالت لنفسها: «كيريكي، كيريكي، يا له من حظ! لابدَّ من أن تكون هذه رسالةً. حين عَقَدَ الملك، حاكم بلدنا العظيم، ذاتَ مرة مجلسه في المرج المجاور، قدَّم الكثير من الناس رسائلهم ووضعوها بين يديه. والآن أنا، حتى أنا، الدجاجة الصغيرة البيضاء، لديَّ رسالةٌ. سأحمل رسالتي إلى الملِك».

انطلقت الدجاجة البيضاء الصغيرة بشجاعة في رحلتها الطويلة في الصباح التالي. حملت الرسالة بحرص في سلَّتها البنيَّة الصغيرة. وكانت المسافة طويلةً إلى القصر الملكي. لم تبتعد الدجاجة البيضاء الصغيرة قطّ عن بيتها كل هذه المسافة.

التقت بعد وهلة ثعلباً صديقاً. الثعالب والدجاجات البيضاء الصغيرة ليسوا أصدقاء حميمين عادةً، كما تعلمون، لكن هذا الثعلب كان صديقاً للدجاجة البيضاء الصغيرة. كانت قد ساعدته ذات مرة في الإفلات من فخٍّ، والثعلب لم ينسَ فضلها عليه.

قال الثعلب: «أيتها الدجاجة البيضاء الصغيرة، أين تذهبين؟». أجابت: «كيريكي، كيريكي،أنا ذاهبةٌ إلى القصر الملكي لأحمل رسالةً إلى الملك».

قال الثعلب: «أيتها الدجاجة البيضاء الصغيرة، أودُّ حقّاً الذهاب معك. اسمحي لي بمرافقتك في رحلتك».

قالت الدجاجة البيضاء الصغيرة: «سأكون سعيدةً برفقتك، فالمسافة طويلةٌ إلى القصر. أتريدني أن أحملَك في سلّتي البنيَّة الصغيرة؟».

قفز الثعلب إلى السلّة البنيَّة الصغيرة. بعد أن قطعت الدجاجة البيضاء الصغيرة بعض المسافة التقت نهراً. وكانت الدجاجة البيضاء الصغيرة قد أسدت إلى النهر معروفاً ذات مرة. كان قد تخلص بمشقَّةٍ من بعض الديدان المزعجة ورماها إلى الضفة وكان خائفاً من أن تزحف عائدةً إليه ثانيةً.

فأكلتها الدجاجة البيضاء الصغيرة لأجْله. فصار النهر صديقها مذ ذاك.

نادى النهر فور رؤيتها: «أيتها الدجاجة البيضاء الصغيرة إلى أين تذهبين؟».

أجابت الدجاجة البيضاء الصغيرة: «كيريكي، كيريكي، أنا ذاهبة إلى القصر لأحمل رسالةً إلى الملك».

سأل النهر: «أيتها الدجاجة البيضاء الصغيرة، أأستطيع الذهاب معك؟».

أخبرته الدجاجة البيضاء الصغيرة أن بمقدوره الذهاب معها وطلبت إليه أن يصعد إلى السلَّة البنيَّة الصغيرة. وهكذا قفز النهر إلى السلة. بعد أن تابعت الدجاجة رحلتها لبعض الوقت، صادفت ناراً. ذات مرة، حين كانت النار تكاد تخمد، أحضرت لها الدجاجة البيضاء الصغيرة بعض القش الذي مَنحها حياةً جديدة ومذ ذاك أصبحت النار صديقتها. سألت النار: «أيتها الدجاجة الصغيرة البيضاء، إلى أين تذهبين؟».

أجابت الدجاجة البيضاء الصغيرة: «كيريكي، كيريكي، أنا ذاهبةٌ إلى القصر لأحمل رسالةً إلى الملك».

سألت النار: «أيتها الدجاجة البيضاء الصغيرة، أبمقدوري الذهاب معك؟ لم أزر القصر قطُّ، حتى إني لم أختلس نظرةً إلى الملك».

أخبرت الدجاجةُ البيضاء الصغيرة النارَ أن بمقدورها الذهاب معها وأخبرتها أن تقفز إلى السلَّة البنيَّة الصغيرة. ولكن في هذا الوقت، كانت السلَّة البنيَّة الصغيرة ممتلئةً لدرجة أنهم مهما حاولوا أن يفسحوا لها متَّسعاً، ما استطاعوا. أخيراً، فكروا في خطَّة. فحوَّلت النار نفسها إلى رماد وهكذا صار لها متَّسعٌ في السلَّة.

مضت الدجاجة البيضاء الصغيرة ومضت، وأخيراً وصلت إلى القصر.

سألها حارس البوابة: «مَن أنت وماذا تحملين في سلَّتك البنيَّة الصغيرة؟».

أجابت الدجاجة البيضاء الصغيرة: «أنا الدجاجة البيضاء الصغيرة وأحمل رسالةً إلى الملك». لم تنبس بكلمة عن الثعلب والنهر والنار الذين كانوا في سلَّتها البنية الصغيرة. كانت خائفةً أمام حارس البوابة الملكية العظيم حتى أنَّها بالكاد تكلَّمت.

دعا حارسُ البوابة الملكية الدجاجةَ إلى دخول القصر وقادها إلى العرش حيث يجلس الملك. انحنت الدجاجة البيضاء الصغيرة بخشوعٍ أمام الملك لدرجة أنها أفسدت ترتيب ريشها كلِّه.

سأل الملك بصوته الملكي المهيب العميق: «مَن أنت وما شأنك؟».

أجابت الدجاجة البيضاء الصغيرة بصوتها الخفيض الخائف الصغير: «كيريكي، كيريكي، أنا الدجاجة البيضاء الصغيرة. أتيت لأحمل رسالتي إلى جلالتكم. ناولت الملك الورقة التي بقيت طوال هذا الوقت في قعر السلَّة البنيَّة الصغيرة. كانت هناك علامات تراب عليها حيث استراحت أقدام الثعلب الصديق. كانت مبتلَّة حيث رقد البحر. وكانت فيها ثقوبٌ صغيرة حيث جلست النار بعد أن حولت نفسها إلى رماد ساخن.

صرخ الملك بصوته الأجشّ الأعمق الأكثر مهابة: «ما الذي تعنينه بجلبك هذه الورقة المتَّسخة لي. أشعر بالإهانة. عرفت دوماً أن الدجاج كائنات صغيرة حمقاء ولكنك بالتأكيد الدجاجة الأكثر غباءً التي رأيتها في حياتي كلها».

والتفت إلى أَحد الخدم الواقفين قرب العرش: «أنت، خذ هذه الدجاجة الصغيرة الحمقاء وارمها في قنٍّ الدجاج الملكي. أعتقد أننا سنأكلها على العشاء غداً».

اعتَقل أطولُ الخدم الدجاجة البيضاء الصغيرة وأنزلها عبر الدرج الخلفي، وعبر البوابة الخلفية، إلى المدجنة الملكية. وهي ما زالت متمسِّكةً بالسلَّة البنية الصغيرة التي جلبتها معها خلال رحلتها الطويلة إلى قصر الملك وخلال جميع التجارب المؤسفة التي صادفتها هناك. حين وصلت الدجاجة البيضاء الصغيرة إلى المدجنة الملكية، هاجمها كل الدجاج الملكي. اقتلع بعضُهم ريشَها الأبيض الأشعث، وحاول آخرون قلع عينيها. أزاح أحدهُم الغطاءَ عن السلَّة البنيَّة الصغيرة.

وثب الثعلب من السلَّة وفي غمضة عين أتى على دجاج المدجنة الملكية. لم تنجُ ولا دجاجة واحدة.

كانت ثمة جلَبَةٌ عظيمة لدرجة أن الملك والملكة والخدم وكل حاشية القصر أتوا مسرعين ليروا ما الأمر. كان الثعلب قد فرَّ والدجاجة البيضاء الصغيرة لم تضيع الوقت لتهرب أيضاً. لكنها لم تنسَ أن تأخذ سلَّتها البنيَّة الصغيرة.

ركضت الحاشية كلها وراءها في مطاردة سريعة. كادوا أن يمسكوا بها حين انبثق النهر فجأةً من السلَّة البنيَّة الصغيرة وفاض بين الدجاجة البيضاء الصغيرة ومطارديها. فلم يستطيعوا العبور من دون زوارق.

بينما كانوا يحضرون الزوارق ويركَبونها، كان لدى الدجاجة متَّسعٌ من الوقت لتركض مبتعدة. وكادت تبلغ غابةً كثيفة حيث كان بمقدورها الاختباء بسهولة، حين اقترب المطاردون الملكيون ثانية. عندها قفزت النار التي كانت قد حوَّلت نفسها إلى رماد من السلَّة البنيَّة الصغيرة. وعلى الفور عمَّ الظلام، أعتمت الدنيا لدرجة أن الحاشية الملكية لم يستطيعوا أن يميِّزوا وجوه بعضهم، وبالطبع لم يستطيعوا تبيُّنَ وجهة ركض الدجاجة الصغيرة البيضاء. ما كان أمامهم سوى العودة إلى القصر والعيش على لحم العجل ولحم الغنم.

وثبت النار التي أحالت نفسها رماداً من السلَّة البنيَّة الصغيرة بصورةٍ فجائيةٍ لدرجة أنها نثرت الرماد على كل جسد الدجاجة البيضاء الصغيرة. منذ ذلك اليوم كانت دائماً مرقطة حيث سقط الرماد عليها.

كانت كلُّ أفراخ الدجاجة البيضاء الصغيرة (التي أصبحت الآن الدجاجة المرقطة الصغيرة) مرقطة أيضاً. وكذا كانت أفراخها وأفراخ أفراخها، حتى يومنا هذا. كلما رأيتَ دجاجة مرقطة تعرف أنها منحدرةٌ من الدجاجة البيضاء الصغيرة التي حملت رسالةً إلى الملك والتي، بمغامراتها، أصبحت أول دجاجة مرقطة.

كيف صار القرد محتالاً؟

كان يا ما كان، كانت هناك حديقةٌ جميلةٌ نمت فيها كل أنواع الفاكهة. عاشت حيوانات عديدة في الحديقة وسُمح لها أن تأكل من الفاكهة متى ما شاءت. ولكنها سُئلت أن تراعي قاعدةً واحدة، يجب أن تقوم بانحناءة مهذبة لشجرة الفاكهة، تناديها باسمها وتقول: «أرجوك امنحيني مذاق فاكهتك». كان عليها الانتباه إلى أن تتذكر اسم الشجرة الصحيح وألاّ تنسى أن تقول رجاء».

وكان مهماً أيضاً أن تتذكر ألاَّ تكون جشعة. يجب دوماً أن تترك وفيرَ الفاكهة للحيوانات الأخرى التي قد تمرُّ بذاك الطريق، والكثير لتتزين الشجرة ولتوفير البذور بحيث تنمو أشجار أخرى. إذا أرادت أن تأكل التين، توجَّب أن تقول: «يا شجرة التين، يا شجرة التين، أرجوك امنحيني مذاق فاكهتك»، أوإذا أرادت أن تأكل البرتقال، توجَّب أن تقول: «يا شجرة البرتقال، يا شجرة البرتقال، أرجوكِ امنحيني مذاق فاكهتك».

في زاوية الحديقة نَمَت أكثر الأشجار روعةً. كانت سامقةً جميلة وبدت فاكهتها المتوردة الخد على أغصانها الواسعة الانتشار شديدة الإغراء. لم يذق أي حيوان قطّ من تلك الفاكهة، لأنه ما من حيوانٍ قطُّ تذكَّر اسمها.

فكَّر القرد أخيراً في خدعة. ربما لا تعلمون، لكن القرد يستطيع العزف على الغيتار. ولطالما عزف حين اجتمعت الحيوانات في الحديقة لترقص.

ذهب القرد إلى البيت الصغير الذي تقطنه المرأة العجوز الصغيرة، حاملاً غيتاره تحت ذراعه. حين أخبرتْه الاسم الصعب الطويل لشجرة الفاكهة الجميلة، ألَّف له لحناً خاصاً وغناه مراراً طوال الطريق الممتد من البيت الصغير الذي تقطنه العجوز الصغيرة إلى زاوية الحديقة حيث نَمَت شجرة الفاكهة الرائعة. لم ينبس بكلمة لأي حيوان التقاه وسأله عن الأغنية الجديدة التي كان يعزفها على غيتاره. سار بخطىً ثابتة، عازفاً أغنيته الصغيرة على غيتاره مرة تلو أخرى ومغنياً بعذوبةٍ الاسم الصعب الطويل.

وصل القرد أخيراً إلى الزاوية حيث الشجرة الخلاَّبة. ما رآها قطُّ بهذا الجمال، وقد توهَّجت الفاكهة الوردية في نور الشمس الساطع.

بمشقّة استطاع القرد انتظار أن ينحني ويقول الاسم الصعب الطويل لمرتين ويطلب الفاكهة راجياً. يا للون الجميل والرائحة الشهية التي كانت لتلك الفاكهة! لم يقترب القرد في حياته كلها من أيّ شيء زكيّ الرائحة هكذا. أخذ قضمةً كبيرة. كم انقلبت سحنته! كانت تلك الفاكهة الجميلة زكية الرائحة مُرّةً حامضة وكان طعمها مُقرفاً. فرماها بعيداً عنه.

لم ينسَ القرد البتة الاسمَ الصعب الطويل واللحن الصغير الذي غنّى. ولم ينسَ أيضاً طعم الفاكهة. لم يأخذ قضمةً أخرى منها على الإطلاق، ولكن، بعد ذلك، كانت خدعته المفضلة هي أن يدعو الحيوانات الأخرى إلى الفاكهة الخلاّبة، فقط ليرى كيف تنقلب سحنتها حين تتذوقها.

كيف اكتسب القرد والجذي شهرتيهما؟

حدث ذات مرة أن النمر أرسل دعوةً إلى الجدي طالباً منه مرافقته في زيارة لأحد الأصدقاء. سارع الجدي إلى قبول الدعوة وفي اليوم المحدَّد انطلقا في رحلتهما إلى بيت صديق النمر. في الطريق صادفا مستنقعاً خطِراً. فخاف النمر من اجتيازه لكنه تظاهر بأنه شديد الشجاعة. قال للجدي: «يا صديقي الجدي، كم تبدو شاحباً وأنت تفكر في اجتياز المستنقع. لا تخف. تقدَّم فحسب».

أكَّد الجدي للنمر أنه ليس جباناً. لطم صدره وتقدَّم باتجاه المستنقع كجندي شجاع. لكنه حين خطا في المستنقع، سقط من فوره في الوحل وبالكاد خرج منه حياً. دارَ النمر حول المستنقع ومشى على الأرض الجافة.

حين اجتمع النمر والجدي ثانيةً، صادفا أشجار موز. قال النمر للجدي: «يا صديقي الجدي، ألست جائعاً؟ لنتوقف هنا

ونأكل بعض الموز. تسلَّق أنت واقطف الموز. أعطني الناضجة منها واحتفظ بالخضراء لنفسك».

تسلَّق الجدي وقطف الموز. وأعطى الناضجة منها للنمر الذي أكل وجبةً لذيذةً، في حين ظلّ الجدي جائعاً.

تابعا طريقهما وبعد أن قطعا بعض المسافة رأيا أفعى كوبرا متمددة على الطريق. قال النمر: «يا صديقي الجدي، الآن لديك الفرصة كي تحوز على قلادةٍ جميلةٍ لابنتك، فقط التقطها لتكون لك». تقدَّم الجدي ليلتقط الأفعى، لكن النمر أخبره أن يتركها وشأنها إن كان لا يريد أن يقتل.

حين وصلا إلى بيت صديق النمر، كان الوقت متأخراً جداً. وسرعان ما أويا للنوم في أرجوحتين شبكيتين معلَّقتين. وعند منتصف الليل، نهض النمر بهدوء، ومشى على رؤوس أصابعه إلى الباب، وخرج.

سارع إلى حيث تأوي الخراف، وقتل أسمن حَمَل في القطيع وحصل على وليمة. ثم عاد إلى الأرجوحة، مسح الدم بالجدي، وخلد إلى النوم.

اكتشف المضيف في الصباح الباكر أن أحد الحملان مفقود. فأسرع إلى الغرفة حيث كان النمر والجدي نائمين واتَّهم النمر بقتل الحَمَل.

تطلع النمر إليه ببراءة وسأله: «أترى الدم عليَّ؟». لم يكن ثمة دم على النمر، لكن المضيف نظر إلى الأرجوحة التالية ورأى الجدي ملطَّخاً كلُّه بالدم. فقال: أعرف الآن من قتل أسمن حملاني»، وضرب الجدي ضربةً كاد لا ينجو منها. منذ ذاك اليوم وحتى يومنا هذا حين يتحدث المرء عن شخص يتعرض للاستغلال يُسمِّيه «جدياً».

حدثت الأشياء بصورة مختلفة تماماً مع القرد. ذات يوم، بعدها بفترة وجيزة، دعا النمرُ القردَ ليرافقه في زيارة صديقه.

قبِل القرد، وانطلق الاثنان في الرحلة. حين وصلا إلى المستنقع، قال النمر للقرد: «يا صديقي القرد، كم تبدو شاحباً وأنت تفكر في اجتياز المستنقع. لا تخف تقدَّم فحسب».

أجاب القرد: «تقدَّم أنت». مضى النمر عبر المستنقع وسقط في الوحل حتى كاد لا يخرج ثانية. دار القرد حول المستنقع ومشى على الأرض الجافة.

بعد أمَدٍ، صادف النمر والقرد أشجار موز. قال النمر: «يا صديقي القرد، ألست جائعاً؟ لنتوقف هنا ونأكل بعض الموز. تسلَّق أنت واقطف الموز. أعطني الناضجة منها واحتفظ بالخضراء لنفسك».

تسلَّق القرد الشجرة وقطف الموز، لكنه أكل الناضجة منها كلَّها ورمى بالخضراء منها إلى النمر. أُجبر النمر على المضي جائعاً في حين حصل القرد على وجبةٍ لذيذة.

أخيراً، صادف النمر والقرد أفعى كوبرا ممددة على الطريق، قال النمر: «يا صديقي القرد، الآن لديك الفرصة كي تحوز على قلادة جميلة لابنتك، التقطها فتكون لك». أجاب القرد: «التقطها أنت».

حين وصل النمر والقرد إلى بيت صديق النمر، كان الوقت متأخراً جداً. ذهبا للنوم في أرجوحتين شبكيتين معلقتين. كان القرد قد رأى من النمر ذاك اليوم ما يكفيه ليقرر أنه من الأفضل له أن ينام بعين واحدة مفتوحة.

لذا تظاهر بالنوم، لكنه في الحقيقة كان صاحياً. عند منتصف الليل، رأى النمر وهو يتسلل بهدوء من أرجوحته، ويسير على

رؤوس أصابعه إلى الباب، ويخرج. قرَّر القرد أن يراقب ويرى ما سيحدث حين يعود النمر.

ذهب النمر إلى حيث تأوي الخراف، وقتل أسمن حَمَل في القطيع وحصل على وليمة. حين عاد حاول أن يمسح دم الحمل بالقرد. دفعه القرد بحيث سكب الدم على نفسه وأرجوحته. ولم تصل قطرة واحدة إلى القرد.

حين افتقد المضيف أحد حملانه في الصباحِ التالي أتى إلى الغرفة حيث كان ينام ضيفاه. رأى النمر مغطى كلّه بالدم وصرخ: «آها، أمسكتُ أخيراً بمن يقتل حملاني». ثم ضرب النمر ضربةً كاد لا ينجو منها. كل ما كان بمقدوره بعدئذ أن يزحف عائداً إلى بيته.

كيف حصل القرد على شراب حين كان عطشاناً؟

في قديم الزمان أغضبَ القردُ النمرَ كثيراً.

هذا ما حدث: كان القرد جالساً عالياً فوق الأغصان المورِقة لشجرة مانغو يعزف على غيتاره. مرَّ النمر بذلك الطريق واستلقى تحت الشجرة ليرتاح. عزف القرد وغنَّى أغنيته الصغيرة فقط ليضايقه:

«تانغوتي تار، تانغوتي تار

عظام النمر في غيتاري

تي هي، تي هي».

اغتاظ النمر كثيراً وقال: «فقط انتظر حتى أمسك بك سيد قرد، حينها سأريكَ حيلةً أو اثنتين باستخدام العظام».

قفز القرد من شجرةٍ إلى أخرى محافظاً بامتيازٍ على اختبائه بين الأوراق بحيث لا يراه النمر. ثمَّ نزل عن الأشجار واختبأ في

جحر. حين اقترب النمر، عزف وغنَّى أغنيته الصغيرة مجدَّداً:

تانغوتي تار، تانغوتي تار

عظام النمر في غيتاري

تي هي، تي هي».

مدَّ النمر يده داخل الحفرة وأمسك بساق القرد. قال القرد: «أوه، سيد نمر. تظنُّ أنك أمسكت بساقي ولكن الحقيقة أنَّ ما لديك هو مجرَّد عصا صغيرة. أوه، هو، أوه، هو!»، حينها أفلت النمرُ ساقَ القرد.

تراجع القرد زاحفاً أبعد في الحفرة حيث لا تصله يد النمر ثمَّ قال: «شكراً جزيلاً يا سيد نمر لإفلاتك ساقي. كانت تلك ساقي حقاً، كما تعلم».

ومجدَّداً عزف وغنَّى أغنيته الصغيرة:

تانغوتي تار، تانغوتي تار

عظام النمر في غيتاري

تي هي، تي هي».

كان النمر ساخطاً أكثر من ذي قبل. انتظر وانتظر أن يخرج القرد من الجحر ولكنه لم يفعل. اكتشف مَخرجاً آخر ومرةً أخرى من أعالي الشجرة غنّى للنمر المنتظر:

«تانغوتي تار، تانغوتي تار

عظام النمر في غيتاري

تي هي، تي هي».

كان ثمّة جفاف عظيم في البلاد ولم يتوافر سوى مكان واحد للتزوّد بالماء يمكن أن تشرب منه الحيوانات. عرف النمر أنه سيتوجّب على القرد الذهاب إلى هناك حين يعطش، لذا قرّر أن ينتظره ويمسكه حين يأتي ليشرب.

حين ذهب القرد ليشرب، وجد النمر بانتظاره. هرب سريعاً كما الريح لأنه كان فعلاً خائفاً جداً من النمر. انتظر وانتظر حتى ظنّ أنه هالكٌ من العطش، لكن النمر لم يرحل عن المورد لدقيقة واحدة. في النهاية فكّر القرد بحيلةٍ يستطيع بها الحصول على شراب.

تمدَّد على جانب الطريق كأنه ميِّت. مرَّت عجوز بعد برهةٍ تحمل طبقاً من العسل في سلَّةٍ على رأسها. رأت القرد ملقىً هناك على الطريق ومعتقدةً أنه ميِّت حملته ووضعته في السلَّة مع طبق العسل.

حين رأى القرد أن الطبق يحتوي على العسل، سرّ كثيراً. فتح الطبق وغطى نفسه بالكامل بالعسل الحلو الدَّبق. بعدها، حين كانت العجوز تسير تحت الأشجار، قفز بخفةٍ من السلَّة إلى الأشجار. لم تفتقده العجوز حتى وصلت إلى البيت ووجدت جزءاً من طبق عسلها في السلَّة.

قالت لأطفالها: «لِمَ، ظننتُ أني أحضرتُ إلى البيتِ قرداً ميِّتاً في سلَّتي. والآن لا يوجد قردٌ هنا ونصف طبقي فقط ممتلئ بالعسل. لابدَّ من أن القردَ كان يمارس إحدى حِيَله».

في هذه الأثناء، ألصق القرد أوراقاً من الشجر بالعسل حول جسده كله حتى تخفَّى تماماً، فما عادت أمه نفسها لتتعرَّفه. بدا شبيهاً بالشَّيْهَم[1] ولكن بدلاً من الأشواك الحادة كانت أوراق خضراء تبرز من جسده كله: بهذا الزي ذهب إلى المورد ولم

(1) حيوان ليلي من القوارض، انعزالي، بطيء الحركة ولديه أشواك طويلة على ظهره ورقبته تمتاز بسهولة الانفصال حين تُلمس (م).

يتعرَّف عليه النمر. أخذ جرعة عميقة مديدة.

كان عطشاناً للغاية وكان الماء لذيذاً لدرجة أنه بقي هناك لفترةٍ طويلة. أخيراً سقطت الأوراق واكتشف النمر أنه القرد في الحقيقة. وبالكاد نجا القرد منه.

كان مذعوراً للغاية لدرجة أنه انتظر وقتاً طويلاً جداً قبل أن يذهب مجدَّداً إلى المورد. أخيراً لم يعد يحتمل العطش. فذهب إلى شجرة الراتينج. ثمَّ ألصق أوراقاً به وذهب مجدَّداً إلى المورد.

رآه النمر، ولكن لأنه توقَّع أن الأوراق ستسقط عنه حالما يصل إلى الماء، فكَّر أن ينتظر ويمسكه بجلده العاري. لم تسقط الأوراق هذه المرة لأن الراتينج أمسكها بقوة فلم تتأثر إطلاقاً بالماء. اعتقد النمر أنه ليس القرد وأنه لابدَّ أخطأ. شرب القرد قدر ما اشتهى ثمَّ مضى الهوينى من دون أن يهاجمه النمر. استعمل الراتينج والأوراق كلَّما أراد أن يشرب بعدها. حافظ على الحيلة حتى حلَّ فصلُ المطرِ وصار بمقدوره إيجاد الكثير من الماء الوفير في مكان عدا مورد الماء الكبير.

كيف حصل القرد
على طعامٍ حين كان جائعاً؟

شعر القرد بالجوع يوماً. أراد أن يطبخ ثريداً ولكنه لم يكن لديه نقود ليشتري طحيناً يصنع منه الثريد. لذا قصد الدجاجة وطلب منها بعض الطحين فأعطتهُ.

قال لها: «تعالي إلى بيتي غداً في الساعة الواحدة، وسأردُّ لكِ الطحين عندها».

ثمَّ ذهب القرد إلى بيت الثعلب وقال: «يا صديقي الثعلب، أرجوك أعرني بعض الطحين. وتعال إلى بيتي غداً في الساعة الثانية وسأرجعه لك حينها». فأعطاه الثعلب بعض الطحين.

ثمَّ ذهب القرد إلى بيتِ الكلب وقال: «يا صديقي الكلب، أرجوك أعرني بعض الطحين. تعال إلى بيتي غداً في الساعة الثالثة وسأُعيدهُ لك حينها». أعطاهُ الكلب بعض الطحين.

ثمَّ ذهب القرد إلى بيت النمر وقال: «يا صديقي النمر، أرجوك أعرني بعض الطحين. تعال إلى بيتي غداً في الساعة الرابعة

وسأردُّه لك حينها». أعطاهُ النمر بعض الطحين. ذهب القرد إلى البيت وصنع قِدراً كبيرة من الثريد. أكل وأكل حتى عجز عن أكل المزيد، ولكن كان لا يزال هناك الكثير من الثريد في القِدر. ثمَّ جهَّز سريره وحرص على أن يثبته مرتفعاً عن الأرض.

في منتصف نهار اليوم التالي، أكل المزيد من الثريد. ثمَّ ربط خِرقةً حول رأسه ومضى إلى السرير متظاهراً بالمرض.

أتت الدجاجة في الساعة الواحدة ودقَّت الباب. طلب إليها القرد أن تدخل بصوت خفيض ضعيف. أخبرها كم كان مريضاً وتأسَّفت الدجاجةُ لأجله.

أتى الثعلب في الساعة الثانية ودقَّ الباب. ارتعبت الدجاجة حتى الموت. قال القرد: «لا بأس، تستطيعين الاختباء هنا تحت سريري».

اختبأت الدجاجة تحت سرير القرد ودعا القرد الثعلب إلى الدخول بصوت خفيض ضعيف. أخبر القرد الثعلب كم أنه مريض وتأسَّف الثعلب عليه.

أتى الكلب في الساعة الثالثة ودقَّ الباب. خاف الثعلب حتى الموت. قال القرد: «لا بأس، اختبئ هنا تحت سريري وكل شيء سيكون على ما يرام».

اختبأ الثعلب تحت سرير القرد ودعا القرد الكلب إلى الدخول بصوت خفيض ضعيف. أخبر القرد الكلب كم أنه مريض وتأسَّف الكلب عليه.

أتى النمر في الساعة الرابعة ودقَّ الباب. خاف الكلب حتى الموت. قال القرد: «لا بأس. اختبئ هنا تحت سريري وسيكون كل شيء بخير».

اختبأ الكلب تحت سرير القرد ودعا القرد النمر إلى الدخول بصوت خفيض ضعيف. أخبر النمر كم أنه ولكن النمر لم يأسف عليه على الإطلاق. وثب على السرير وطالَب بصوت جهوريّ قويٍّ أن يرد القرد الطحين على الفور، مثلما وعد أن يفعل. فرَّ القرد إلى أعالي الشجرة، لكن السرير تداعى تحت ثقل النمر، حينها أكل الثعلب الدجاجة وأكل الكلب الثعلب وأكل النمر الكلب. ولا يزال النمر يحاول الإمساك بالقرد.

لماذا الموزُ يخصُّ القرد؟

ربما لا تعلمون، ولكن القردة تعتقد أن كلَّ الموز خاصٌ بها. حين يأكل أحد الأطفال البرازيليون الموز يقول: «أنا قرد». عرفت ذات مرة ولداً في البرازيل كان يعشق الموز. كان يقول دائماً: «أنا شديد الشبه بالقرد». إذا كنتم تحبون الموز، سيخبركم الأطفال البرازيليون أنكم قردة أيضاً. هذه هي القصة التي يحكونها ليظهروا لنا كيف حدث الأمر كله.

حين كان العالم قد خُلق للتو، كان هناك نوعٌ واحدٌ فقط من الموز وأنواعٌ عديدةٌ جداً من القِرَدة، كانت ثمَّة امرأة عجوز صغيرة امتلكت حديقةً كبيرةً مليئةً بأشجار الموز. شقَّ على المرأة أن تجمع الموز بنفسها لذا عقدت صفقةً مع أكبر القِرَدة. أخبرته أنه إذا جمع عناقيد الموز لها فستعطيه نصفها. جمع القرد الموز. حين أخذ نصفه، أعطى المرأة العجوز الصغيرة الموزاتِ التي نبتت في أسفل العنقود والتي كانت صغيرةً متغضنة. واحتفظ بالموزات الجميلة الكبيرة المكتنزة لنفسه وحملها إلى بيته ليتركها

تنضج في العتمة.

كانت العجوز جدُّ غاضبة. استلقت متيّقظة طوال الليل تحاول أن تفكر في وسيلة ما تستطيع أن تثأر بها من القرد. أخيراً فكَّرت في خدعة.

صنعت في اليوم التالي تمثالاً من الشمع بدا تماماً كصبي صغير أسود. ثمَّ وضعت سلَّةً مسطحةً كبيرة على رأس التمثال وفي السلَّة وضعت أفضل الموزات الناضجة التي استطاعت العثور عليها. بدت بالتأكيد مغرية جداً.

بعد برهةٍ، اجتاز أكبر القِرَدة ذاك الطريق. رأى تمثال الشَّمع وظنَّه صبياً يبيع الموز. كان عادةً ما يدفع الصبية بائعي الموز، ويقلب سلالهم ومن ثَمَّ يهرب بالموز. شعر هذا الصباح بنفسه طيباً لذا فكَّر أنه سيحاول أولاً أن يطلب الموز بلطف.

قال له: «أيها البائع المتجول، أيها الصبي، أرجوك أعطني موزةً». لم يُجب تمثالُ الشمع بكلمةٍ.

ومجدَّداً قال القرد، بصوت أعلى قليلاً: «أيها البائع المتجول، أيها الصبي، أرجوك أعطني موزةً، فقط واحدةً ناضجةً حلوة». لم يجب تمثال الشمع بكلمة.

ركض القرد صوب تمثال الشمع وضربه بقوةٍ بيده. بقيت يده مغروسةً بثباتٍ في الشمع.

نادى القرد: «أيها البائع المتجول، أيها الصبي، أفلت يدي، أفلت يدي، وأعطني موزةً وإلا سأصفعك صفعةً قوية بيدي الأخرى». لم يفلت تمثال الشمع يده. صفع القرد تمثال الشمع صفعةً قويةً باليد الأخرى. بقيت اليد الأخرى مغروسةً بثباتٍ في الشمع.

حينها نادى القرد: «أيها البائع المتجول، أيها الصبي، أفلت يدِي. أفلت يديَّ وأعطني موزةً وإلا ساركلك بقدمي». لم يفلتهما تمثال الشمع. ركل القرد التمثال ركلةً بقدمه التي بقيت عالقةً بشدةٍ في الشمع.

صرخ القرد: «أيها الصبي البائع، أيها الصبي البائع المتجول، أفلت قدمي ويديّ وأعطني موزةً وإلا ساركلك بقدمي الأخرى». لم يفلتها تمثال الشمع.

حينها قام القرد الذي كان غاضباً بشدةٍ الآن بركل تمثال الشمع بقدمه الأخرى التي بقيت عالقةً بشدةٍ في الشمع.

صرخ القرد: «أيها الصبي، أيها الصبي البائع المتجول، أفلت قدمي. أفلت قدميّ ويديّ وأعطني موزةً وإلا سأدفعك بجسدي». لم يفلته تمثال الشمع. دفع القرد تمثال الشمع بجسده الذي التصق بشدةٍ في الشمع.

زعق القرد: «أيها الصبي، أيها الصبي البائع، أفلت جسدي. أفلت جسدي وقدميّ ويديّ وإلا فسأنادي القِرَدة الأخرى لتساعدني!». لم يفلته تمثال الشمع. حينها ضجَّ القرد بصرخاته وصيحاته لدرجة أن القردة جاءت سريعاً من كلِّ حدبٍ وصوب. كانت ثمَّة قِرَدة كبيرة وقِرَدة صغيرة وأخرى متوسطة الحجم. أتى جيشٌ كامل من القِرَدة لنجدة القرد الأكبر.

كان أصغرُ القِرَدة من فكَّر في خطةٍ لمساعدة القرد الأكبر للخروج من مأزقه. كان على القِرَدة أن تتسلَّق كبرى الأشجار وأن تتكدَّس الواحدة منها فوق الأخرى حتى تشكل هرماً من القِرَدة. توجَّب أن يكون القرد ذو الصوت الأعلى في القمة وتوجَّب عليه الصراخ بأعلى صوته تجاه الشمس وأن يطلب منها المجيء ومساعدة القرد الأكبر على الخروج من أزمته.

وهذا ما فعلته القردة الكبيرة الصغيرة والمتوسطة الحجم. أسمعَ القردُ صاحب الصوت الأقوى على قمة الهرم الشمسَ

صوتَه. فأتت هذه على الفور وصبَّت أكثر أشعتها حرارةً على الشمع. بعد وهلةٍ، بدأ الشمع يذوب. وأخيراً صار بمقدور القرد أن يسحب إحدى يديه. صبَّت الشمس المزيد من أشعتها الأسخن وسرعان ما صار بمقدور القرد أن يسحب كلتا يديه. ثمَّ كان بمقدوره سحب قدمه، ثمَّ الأخرى، وخلال فترةٍ قصيرة، جسده أيضاً. أخيراً صار حرّاً.

حين رأت المرأة العجوز ما حدث، وهنت عزيمتها تجاه زراعة الموز. فقرَّرت الرحيل إلى جزءٍ آخر من العالم حيث زرعت الملفوف بدل الموز. تُرِكت مُلكية الحديقة الكبيرة المليئة بأشجار الموز للقِرَدة. ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا تعتقد القِرَدة أنها تمتلك كل موز العالم.

كيف نجا القرد من أن يُؤكل؟

قبل عصور وعصور، أكل البشر الفواكه والبندق. ثمَّ أتى زمن شحت فيه الفواكه والبندق. فتوجَّب على البشر أن يأكلوا اللحم. لذا بدأوا بقتل مختلف الحيوانات ليروا أيها أفضل للأكل. صاروا يسلخونها ويقطِّعونها ويطبخونها على النار. بعضها كان طيب المأكل وبعضها الآخر لم يكن كذلك على الإطلاق.

اكتُشف أن لحم الثور شهي وكذا لحم الغنم وآكل النمل. ثمَّ فكَّر رجلٌ في أحد الأيام أنه سيحاول أكل القرد. كان القرد يعزف على غيتاره «لي، لي، لي، لاي، لي لاي، لي لاي، لي لاي». اقترب الرجل منه وقال: «تعال هنا أيها القرد الصغير ودعني أسمع موسيقاك. أنا أستمتع بها جداً». وأخذ الرجل يقترب شيئاً فشيئاً من القرد. ولحظة مدّ يده لامساك القرد، قفز الأخير قفزة مفاجئة إلى الشجرة وأسرع إلى قمتها.

كلما سمع الرجل بعدها القرد يعزف على الغيتار اقترب منه وحاول إمساكه. صار القرد يخاف الرجل، يخافه لدرجة أنه تخلى عن عزف الغيتار تماماً. لمدة طويلة جداً لم يعزف عليه. شعر ذات يوم أنه راغب في عزف بعض الموسيقى. فاختبأ في حفرة وهناك عزف على غيتاره. لم يعتقد أن الرجل سيسمعه، لكنّ أذني الرجل كانتا حادتين. حين انتهى من العزف، شرع في الخروج من الجحر. وهناك وجد الرجل بانتظاره! زحف بسرعةٍ عائداً إلى الخلف بحيث لا يستطيع الرجل إمساكه. انتظر وانتظر أن يرحل الرجل، لكنه لم يرحل.

بعد برهةٍ، عطش الرجل وذهب ليحصل على شراب. ترك ابنه الصغير ليراقب القرد. بعد أن مضى الرجل، نادى القردُ الولدَ الصغير: «أيها الولد الصغير، أيها الولد الصغير، ألا تتمنى أن ترى القرد وهو يرقص؟». أجاب الولد الصغير أنه يتمنى ذلك.

قال القرد: «فقط ثبّت ناظريك على باب كهفي الصغير وسأدعك ترى القرد وهو يرقص».

قرّب الولد عينيه من الجحر. حالما قام بذلك، رمى القرد التراب في عيني الولد الصغير. وفي حين أخذ الطفل يفرك عينيه ليخرج منها التراب، اندفع القرد فجأةً من الكهف وهرب إلى

أعلى الشجرة. لم يجرؤ الولد أن يخبر الرجل حين عاد أن القرد قد هرب. فانتظر الرجل وانتظر هناك بجانب الجحر. أخيراً ملّ الانتظارَ ورحل.

بعدها حاول الرجل أكثر من ذي قبل أن يمسك القرد. ولو لم يحالفه الحظ في الإمساك به وهو غاف ذات يوم، فلا أحد يعرف متى كان سيضع يده عليه. لكنه ذات يوم، أمسك به غافياً. ثم سجنه في صندوق وحمله إلى البيت عشاءً لأطفاله.

وضع الرجل صفيحة كبيرة مليئة بالماء على النار متهيئاً لطبخ القرد. ثمَّ ذهب ليجمع المزيد من الوقود لأجل النار. كان القرد وغيتاره مسجونين داخل الصندوق، وهناك داخل الصندوق، عزف القرد على غيتاره «لي، لي، لي، لاي، لي لاي، لي راي، لي راي». احتشد الأطفال قريباً من الصندوق. قال القرد: «أيها الأطفال، أيها الأطفال، ألا تتمنون لو كان بمقدوركم أن تروا القرد وهو يرقص؟».

أجاب الأطفال أنهم يتمنون ذلك.

قال القرد: «هذا الصندوق صغيرٌ جداً لدرجة أنه لا متَّسع لي لأرقص هنا، فقط أخرجوني وسأريكم كم أستطيع الرقص جيداً».

فتح الأطفال الصندوق وأخرجوا القرد إلى الغرفة. عزف القرد على غيتاره «لي، لي، لي، لي لاي، لي راي، لي راي». ورقص في أرجاء الغرفة. ثمَّ قال: «أيها الأطفال. أيها الأطفال! أنتم لا تطبخون شيئاً في تلك القِدر على النار. دعونا نضع شيئاً نطبخه في القِدر».

فكر الأطفال أنه سيكون من عدم التهذيب أن يخبروا القرد بالمصير الذي ينتظره، لذا تركوه يملأ القدر بما شاء. وضع فيه بعض العصي الجافة وصَدَفة جوز هند فارغة. ثمَّ قال: «أيها الأطفال، أيها الأطفال، لا أستطيع الرقص أكثر. الجو حار جداً في هذه الغرفة». توسل الأطفال إليه أن يرقص أكثر.

قال القرد: «إذا فتحتم الباب قليلاً بحيث أحصل على هواءٍ أكثر أتنفَّسه فسأريكم رقصةً جديدة».

فتح الأطفال الباب. رقص القرد حتى الباب وخارج الباب بعيداً إلى أعلى الشجرة. كانت تلك آخر مرةٍ رأوه فيها. رحل إلى جزءٍ آخر من البلاد بعد تلك التجربة.

حين عاد الرجل بالحطب لأجل النار، لم يجرؤ الأطفال على إخباره أن القرد قد هرب. تركوه يظنُّ أن العصيَّ وصَدَفة جوز

الهند التي في القِدر هي القرد. أنشأ ناراً كبيرة هدّارة تحت القِدر وسرعان ما بدأت تغلي. وبعدها بقليل نادى أطفاله ليتعشوا معه. وتركه الأطفال يذوق أولاً. أخرج عصا قاسيةً من القِدر وعضّها. قال وقد تجهّمت سحنته: «هذه ليست ساق القرد. إنها مجرد عصا جافة». ثمّ اصطاد صدفة جوز الهند الفارغة من القِدر. وقال بعد أن تذوقها: «هذا ليس رأس القرد هذه مجرد صدفة جوز هند فارغة». لم يعثر على أي أثر للقرد في يخنة القرد تلك. ولم يرغب في طبخ يخنة القرد ثانيةً.

لماذا لا يزال للقرد ذيل؟

في قديم الزمان عقد القرد والأرنب اتفاقاً يقضي بأن يقتل القرد كلَّ الفراشات، في حين يقتل الأرنب كلّ الأفاعي.

ذات يوم، كان الأرنب يأخذ قيلولةً حين مرَّ القرد بذاك الطريق. فكر الأخير أن يعمل مقلباً في الأرنب فقام بشدّ أُذّني الأرنب متظاهراً بأنه اعتقدهما فراشتين. استيقظ الأرنب غاضباً جداً من القرد وقرّر أن ينتقم من القرد.

كان الأرنب وآكل النمل صديقين حميمين. آكل النمل قويٌّ جداً كما تعلمون لذا لجأ إليه الأرنب طلباً للمساعدة.

ذات يوم قبض الأرنب على القرد وهو نائم. كان قد راقب وانتظر طويلاً أن يقبض عليه نائماً، لكنه في النهاية نجح. فحتى القرد يأخذ قيلولة أحياناً. نادى الأرنب آكل النمل، ومعاً دحرجا حجراً كبيراً على ذيل القرد. سحب القرد ذيله بقوةٍ ليخرجه من تحت الحجر لدرجة أنه انقطع.

اختلست القطة، التي لم يكن لها ذيلٌ في ذاك الوقت، اختلست الذيل وهربت به. غضب القرد أشدّ الغضب من الأرنب.

قال الأرنب: «آه، اعتقدنا أنها مجرد أفعى راقدة هناك. عندما شددت أذنيّ، كما تعلم، اعتقدتَ أنهما فراشتان».

لم يخفّف هذا الكلام من غضب القرد. كيف سيعيش من دون ذيله! كيف سيتسلّق الأشجار من دونه! لم يكن أمامه سوى أن يستعيده ولذا انطلق من فوره للعثور على القطة.

أخيراً وجد القطة وقال لها: «أيتها القطة اللطيفة، أرجوك أعيدي إليَّ ذيلي».

أجابت القطة: «سأعيده إليك إذا جلبت لي بعض الحليب».

سأل القرد: «من أين سأحصل على الحليب؟».

أجابت القطة: «اذهب واطلب من البقرة بعضه».

ذهب القرد إلى البقرة وقال: «أيتها البقرة اللطيفة، أرجوك أعطني بعض الحليب، لكي أعطيه للقطة لكي تعيد إليَّ ذيلي».

أجابت البقرة: «سأعطيكَ الحليب إذا جلبتَ لي بعض العشب».

سأل القرد: «من أين سأحصل على العشب؟».

أجابت البقرة: «اذهب واسأل الفلاح».

ذهب القرد إلى الفلاح وقال: «أيها الفلاح اللطيف، أرجوك أعطني بعض العشب، لكي أُعطيه للبقرة لكي تعطيني بعض الحليب الذي إن أعطيته للقطة ستعيدُ ذيلي إليَّ».

قال الفلاح: «سأعطيك بعض العشب إن أعطيتني بعض المطر».

سأل القرد: «من أين سأحصل على المطر؟».

أجاب الفلاح: «اذهب واسأل الغيوم».

ذهب القرد إلى الغيوم وقال: «أيتها الغيوم اللطيفة، أرجوكِ أرسلي بعض المطر لكي أُعطيه للفلاح لكي يعطيني بعض العشب الذي إن أعطيته للبقرة فستعطيني بعض الحليب الذي إن منحته للقطة فستعيد إليَّ ذيلي».

أجابت الغيوم: «سنعطيك بعض المطر إن أحضرت لنا بعض الضباب».

سأل القرد: «من أين سأحصل على الضباب؟».

أجابت الغيوم: «اذهب واسأل الأنهار».

ذهب القرد إلى النهر وقال: «أيها النهر اللطيف، أرجوك أعطني ضباباً لعلّي أعطيه للغيوم لعلّها تعطيني بعض الماء بحيث إن أعطيته إلى الفلاح فسيعطيني بعض العشب فإن أعطيته إلى البقرة أعطتني بعض الحليب الذي إن أعطيته للقطة أعادت إلي ذيلي».

أجاب النهر: «سأعطيك ضباباً إن وجدت ينبوعاً جديداً يرفدني».

سأل القرد: «أين سأجد الينبوع؟».

أجاب النهر: «اذهب وابحث عن أحدها بين الصخور على سفح التلة».

ثمّ تسلّق القرد التلّة شديدةَ الانحدار وبحث وبحث بين الصخور حتى وجد أخيراً ينبوعاً صغيراً ليغذّي النهر. جلب الينبوع إلى النهر وأعطاه النهر ضباباً. أخذ الضباب إلى الغيوم فأعطته مطراً. أخذ المطر إلى الفلاح فأعطاه عشباً. أخذ العشب إلى البقرة فأعطته حليباً.

أخذ الحليب إلى القطة فأعادت إليه ذيله. كان القرد سعيداً باستعادة ذيله لدرجة أنه رقص ورقص طرباً. منذ ذاك الوقت والقرد حريصٌ على حراسة ذيله.

وهو لا يزال سعيداً بذيله هذا.

كيف صار الأسودُ أبيض؟

يسمع المرءُ عادةً أنه لا يستطيع أن يجعل الأبيضَ أسوَد أو الأسوَدَ أبيض. قلت شيئاً يتعلَّق بذلك ذات مرة لمربيتي البرازيلية فنظرتْ إليَّ مدهوشةً. وقالت: «بلى، يستطيع المرء ذلك. وقد حدث هذا مرةً ولا أحد يستطيع نفي إمكانية حصوله ثانية. ربما لم تسمع السيدة بالقصة؟».

رجوتها أن تخبرني إياها وهذه هي الحكاية:

كانت هناك في قديم الزمان عجوز صغيرة عاشت وحيدةً مع ابنها الصغير الأسود بل شديد السواد. ولم تعش العجوز دوماً وحيدة مع ابنها الأسود الصغير هذا. فقد كانت من قبل أُمّاً لثلاث بنات جميلات، الأكثر جمالاً في طول البلاد وعرضها. كنَّ فاتناتٍ لدرجة أنهن لفتنَ انتباه الجنية الشريرة التي عاشت في قلعةٍ مسحورةٍ بالجوار، كانت هذه الجنية تغار منهن كثيراً. فقيَّدتهن باستخدام السحر في أكياس لا يمكن فتحها إلا بإحراق

الأكياس فوق نارٍ وقودُها خشبٌ سحريّ. بحثت العجوز وابنها الأسود الصغير طويلاً بدأبٍ عن الخشب السحري، ولكنهما لم يعثرا عليه قط.

وبما أنه من الفظيع أن تكون بناتها مسجوناتٍ في أكياسٍ سحرية، فقد احدودبت العجوز الصغيرة وهزلت وأصبحت نزقة في بحثها عن الخشب السحري. ولولا الصبي الأسود الصغير لكانت استسلمت نهائياً. كان الصبي مرحاً دوماً وبشوشاً ومتأكداً دائماً أنهما سينجحان ذات يومٍ في العثور على الخشب السحري.

ذات يوم، وضعت العجوزُ جرةَ الماء الكبيرة على رأسها وحملتها إلى النهر لتملأها. كانت ثقيلةً جداً حين ملأتها بالماء لدرجة أنها لم تستطع أن ترفعها إلى رأسها حتى بمساعدة الصبي الأسود الصغير. صادف أن ثلاثة فرسان رائعي المظهر كانوا يعبرون على صهوات جيادهم.

بعثت الصبي الأسود الصغير ليسألهم أن يساعدوها. فقالوا إنهم لا يستطيعون التوقف لأي سبب كان. استشاطت العجوز غضباً. لم تعلم أنهم كانوا في طريقهم إلى القلعة المسحورة ولم يستطيعوا التوقف.

كانت الجنية الشريرة التي سجنت بنات المـرأة العجوز الجميلات في أكياسٍ، هي التي تقودهم إلى القلعة.

لو عرفت المرأة بأمر الفرسان الثلاثة لما غضبتْ منهم بل ولرغبت في مساعدتهم. فقد كانوا طيبين جداً وحكماءَ جداً لذا استطاعوا تدبُّر أمرهم جيداً جداً. حالما وصلوا القلعة المسحورة، أرتهم الجنية أسرَّتهم. كانت قد وسمت كل سريرٍ بشمعة. لم يكن أحد حكيماً بما يكفي من قبل ليطفئ هذه الشموع. أطفأ هؤلاء الفرسان الشموعَ وهذا أزال عنهم سُلطة الجنية. استطاعوا الهرب من المكان. حين جاءت الجنية الشريرة لتضعهم في الأكياس السحرية وجدتِ الأسرَّة فارغة.

أخذ الفرسان الثلاثة جيادهم وعادوا أدراجهم من الطريق نفسها التي جاؤوا منها. توقفوا عند دكانٍ صغيرٍ على الزاوية كانت تملكه جنية خيِّرة واشتروا القليل من الرماد والملح وبعض الأوتاد.

بعد برهةٍ اقترب الفرسانُ الثلاثة من بيت العجوز وابنها الصغير الأسود. كانت العجوز لا تزال غاضبةً لأنهم رفضوا التوقف ومساعدتها على حمل جرَّةِ مائها إلى رأسها. حين رأتهم قادمين، رمتهم بالحجارة. وكان ذاك فعلاً أحمقَ بالطبع.

حين رأى الفرسان الثلاثة ما يحدث، اندهشوا للغاية. كانوا قد نسوا كل ما يتعلق بالصبي الأسود الصغير والمرأة العجوز التي سألتهم مساعدتها. حين رأوها آتية بالحجارة ظنوا أنها لابد من أن تكون جنية شريرة في هيئة امرأة عجوز.

رمى الفارس الذي كان يحمل الرماد في جيبه، حفنة من الرماد عليها، فحل الليل. استمرت العجوز برمي حجارتها. فرمى الفارس الذي يحمل الملح في جيبه، حفنة الملح عليها. على الفور ظهر بحرٌ من المياه المالحة بين الفرسان الثلاثة والمرأة. استمرت العجوز برشقهم بالحجارة.

رمى الفارس الذي كان يحمل الأوتاد الصغيرة في جيبه، بعض الأوتاد عليها. وعلى الفور ارتفع سورٌ عالٍ شائكٌ من الأرض بين المرأة العجوز والفرسان الثلاثة.

كانت العجوز غاضبةً جداً بحيث عجزت عن التفكير بصفاء. ولو لم تكن غاضبة هكذا لعرفت على الفور أنَّ هذا ولا بدَّ هو الخشب السحري. لكن الصبي الأسود الصغير كان محتفظاً بذكائه. سارع إلى جمع الأغصان رغم أن الأشواك مزَّقت يديه. سرعان ما جمع كومة كبيرة من الأخشاب شبيهة بتلك الأكوام التي يجمعونها في الشوارع ليحرقوها في ليلة الاحتفال.

رأت العجوز ما كان يفعله وركضت لتُحضِرَ الأكياس السحرية التي كانت بناتها مسجوناتٍ فيها. وضعوا الأكياس أعلى كومة الخشب السحري وأشعلوا النار. صَدَرَ صوتٌ عظيمٌ يشبه الرعد. برزت ثلاث صبايا جميلات من الأكياس السحرية الثلاثة، صبايا بقين على قيد الحياة داخل الأكياس بمعجزةٍ من سيِّدتنا[1].

التفتت العجوز وبناتها الثلاثة ليشكرن الصبي الأسود الصغير على ما فعل. ما عاد الصبي الأسود الصغير أسودَ، بل أصبح أبيض. تزوج الفرسان الثلاثة من الصبايا الجميلات الثلاث وكبُر الصبي الصغير الذي أصبح أبيض وصار بعدئذ أعظم فارس بينهم جميعاً.

(1) وردت في النص الأصلي بالبرتغالية Nossa Senhora والإشارة هنا إلى السيدة مريم العذراء (م).

كيف أصبحت الحمامةُ طائراً داجناً؟

كان هناك أبٌ لديه ثلاثةُ أبناء وصلوا إلى العمر الذي ينبغي فيه أن يخرجوا إلى العالم ليكسبوا عيشهم بأنفسهم. حين آن أوان الرحيل، أعطى لكلٍ منهم بطيخةً كبيرةً ناصِحاً إياهم ألا يفتحوها إلا في موضع قريبٍ من الماء.

انطلق الإخوة الثلاثةُ من بيتِ أبيهم، يسلكُ كلٌّ منهم طريقاً مختلفاً. حالما أصبح الابن الأكبر خارج مجال رؤية البيت، فتح بطيخته. فانبثقت منها صبية جميلة وهي تقول: «أعطني ماءً أو حليباً». لم يتوافر ماءٌ في الجوار ولم يكن لدى الشاب حليبٌ أيضاً. فسقطت ميتة.

غادر الابن الثاني بيت والده سالكاً طريقاً تقود إلى تلة شديدة الانحدار. كانت البطيخةُ ثقيلةَ الحمل وخلال فترةٍ قصيرة انتابه التعب والعطش. لم يرَ ماءً في الجوار وخشيَ من انعدام احتمال العثور عليه عاجلاً، لذا فكَّر في فتح البطيخة والأكل منها لإخماد

عطشه. وهكذا فتح البطيخة. ويا لدهشته! انبثقت منها عذراءٌ جميلة وهي تقول: «أعطني ماءً أو حليباً». بالطبع ما كان لديه أي منهما، فسقطت ميتة.

سافر الابن الثالث أيضاً عبر طريقٍ تقود إلى تلة شديدة الانحدار. وهو أيضاً أصابه العطش والتعب وفكّر كثيراً كم أنه راغب في فتح بطيخته. لكنه تذكّر نصيحة والده بأن يفتحها في موضع قريب من الماء. لذا مضى أبعد وأبعد آملاً أن يجد نبع ماءٍ على سفح التلة. لم يصادف الحظ السعيد بالمرور قرب نبعٍ سواءٌ وهو يصعد التلة أو وهو يهبط منها في الجهة المعاكسة.

كانت توجد أسفلَ التلة بلدةٌ وفي مركز البلدة كان سبيل ماء. سارع الشاب مباشرةً إلى السبيل وأخذ شربةً طويلةً منعشة.

ثم فتح بطيخته. فانبثقت منها صبية جميلة وهي تقول: «أعطني ماءً أو حليباً». أعطاها الشاب شربة ماء. ثم ساعدها على الاختباء في مكانٍ بين الأغصان الكثيفة للشجرة النابتة قرب السبيل ومضى باحثاً عن الطعام.

سرعان ما أتت خادمة سوداء إلى سبيل الماء لتملأ جرة ماءٍ كبيرة حملتها على رأسها. تلصصت العذراء في الشجرة التي

فوق السبيل النظرَ عبر الأغصان. حين انحنت الخادمة السوداء على الماء لتملأ جرَّتها، رأت انعكاس وجه ساحر على الماء. قالت لنفسها:

«كم أصبحت جميلةً، كم سخيفٌ أن تحمل امرأةٌ بجمالي ماءً على رأسها».

رمت جرَّة مائها على الأرض بازدراء فانكسرت إلى ألف قطعة.

حين وصلت الخادمة الصغيرة إلى البيت دون ماءٍ أوجرَّة ماء، عاقبتها سيدتها بقسوةٍ وأرسلتها مجدَّداً إلى النبع لتملأ جرَّةً جديدة.

أصدرت العذراء في الشجرة هذه المرة ضحكةً فضيةً حين انحنت الخادمة السوداء على الماء. رفعت الخادمة الصغيرة ناظرها ورأتها على الشجرة. قالت: «آه، ألست أنت المسؤولةُ عن ضربي؟». سحبت دبوساً من قميصها. ومتطاولةً غرزته بقسوةٍ في العذراء الجميلة على الشجرة. ثم حدث شيءٌ غريب. ما عادت هناك عذراء جميلة على الشجرة. بل صار هناك مجرد حمامة.

في تلك اللحظة عاد الشاب إلى الشجرة بالطعام الذي أحضر. حين سمعت الخادمة السوداء وقع خطواته خافت حتى الموت. اختبأت بسرعةٍ بين الأغصان الكثيفة للشجرة. اندهش الشاب للغاية بالعثور على خادمة سوداء على الشجرة بدل العذراء الجميلة التي تركها هناك. سأل مرتعباً حالما رآها: «ما الذي حدث لكِ في غيابي؟». أجابت الخادمة الصغيرة: «لوَّحت الشمس مُحيَّاي. هذا كلُّ ما في الأمر، ليس بالشيء المهم. سأعود إلى هيئتي حين أغادر هذا المكان الحار».

تزوج الشاب من الخادمة السوداء وأبعدها عن الأماكن المشمسة آملاً أنها ستعود سريعاً العذراء الجميلة التي تركها قرب النبع بحثاً عن الطعام. لكنها بقيت سوداءَ.

مضت اسلنوات واغتنى الشاب. عاش في قصرٍ جميل. أحاطت بالبيت حديقةٌ جميلةٌ مليئةٌ بالأزهار والأشجار البديعة حيث طاب للطيور غناءُ أغانٍ عذبة وبناءُ أعشاشها.

رغمَ بيته الجميل، لم يكن الشاب سعيداً جداً. كانت محنةً عظيمةً أن تكون لديه زوجةٌ سوداء إلى هذا الحد. كثيراً ما كان يسير رائحاً غادياً الممرات في حديقته عند نهاية اليوم ويفكِّر كم كانت جميلةٌ زوجته حين رآها أولَ مرَّةٍ.

كانت حمامةٌ تتبعه دوماً وهو يسير في الحديقة.

كانت تطير حول رأسه بطريقةٍ أزعجته، لذا ذات يوم، حين كانت زوجته مريضة وطلبت أن تشوى حمامةٌ لغدائها، أمر أن تُقتل تلك الحمامة بالذات.

حين كانت الطباخة تحضِّر الحمامة لتأكلها سيدتها، لاحظت لطخةً على صدرها. اعتقدت أنها لطخة وسخ وحاولت أن تفركها لتزول. لدهشتها، لم تستطع أن تزيلها لأنها كانت دبوساً منغرزاً بعمق في صدر الحمامة. شدّت كثيراً لتخرجه لكنها لم تستطع ذلك لذا أرسلت في طلب سيدها ليأتي ويرى ما يستطيع فعله لإزالته. سحب على الفور الدبوس، ثم حدث شيءٌ رائع. تحوَّلت الحمامةُ إلى حسناء جميلة.

تعرَّف عليها مباشرةً على أنها العذراء الفاتنة التي انبثقت من بطيخته قرب النبع حيث تركها مختبئةً في الشجرة.

حين علمت زوجة الشاب السوداء أن زوجها وجد العذراء الجميلة ثانيةً بعد كل هذه السنوات، اعترفت بكذبتها وسرعان ما ماتت. تزوج الشاب من العذراء الجميلة التي ظلَّت جميلةً كما رآها أول مَرَّة.

كانا بالِغَيّ السعادة معاً لكن الزوجة لم تنسَ قطّ الوقت الذي كانت فيه حمامةً.

حتى ذاك الوقت، كانت الحمامات طيوراً برية تبني أعشاشها في عمق الغابة. كثيراً ما تمنت الزوجة أن تبني أعشاشها في حديقتها الجميلة لذا بُنيت بيوتٌ صغيرة للطيور ووُضعت هناك.

ذات يوم طارت حمامة أكثر شجاعةً من غيرها عبر الحديقة ورأت بيوت الطيور الصغيرة. نقلت أسرتها إلى هناك فوراً وأخبرت الحمامات الأخرى أنه توجد بيوت أخرى هناك لهنّ أيضاً. كان الحمام الآخر جباناً لذا انتظر أية كارثة رهيبة قد تحدث للحمامة الشجاعة وعائلتها، ولكن لم يبدُ أي شيء لا يَسُرّ. كانوا سعداء بقدر ما يمكن أن تكون السعادة في بيتهم الجديد.

بعد فترة انتقلت عائلات حمام أخرى إلى الحديقة وكانت سعيدة أيضاً. هكذا حدث أنه بعد سنوات وسنوات، ما عادت الحمامات تبني أعشاشها في عمق الغابة، بل قريباً من بيوت البشر. الحمامات نفسها لا تعرف كيف حدث ذلك ولكن المرأة الجميلة التي كانت حمامة ذات مرة، أخبرت أطفالها عنها وهم أخبروا أطفالهم. وهكذا يحدث أن الأمهات في البرازيل يخبرن أطفالهن هذه الحكاية عن الحمام.

لماذا ينتحب البحر؟

كانت في قديم الزمان أميرة صغيرة عاشت في قصرٍ ملكيٍّ بَهيٍّ تحيطه حديقة مليئة بزهورٍ فاتنةٍ وأشجارٍ وشجيراتٍ نادرة. وكانت الأميرةُ تحب ركناً من الحديقة يمتد منحدراً باتجاه البحر. كانت أميرةً صغيرةً متوحدةً للغاية وأحبَّت الجلوس ومراقبة الجمال المتغير للبحر. كان اسم الأميرة الصغيرة ديونيسيا وكثيراً ما بدا لها أن البحر يقول في أثناء اندفاعه نحو الشاطئ «ديو- نيس- يا- ديو- نيس- يا».

ذات يوم حين كانت الأميرة جالسة وحدها عند البحر قالت لنفسها: «آه، كم أني وحيدة. أتمنى حقاً لو كان لدي من ألعب معه. حين أتجول في العربة الملكية أرى فتيات صغيرات يلعبن مع فتية وفتيات آخرين. ولكن لأني الأميرة فلا أحد يلعب معي. إذا توجَّب أن أكون الأميرة وألا ألعب مع الأطفال الآخرين، فأظنُّ أنني يجب أن أحصل على شيء حيٍّ آخر ليلعب معي».

ثم حدث الأمرُ الأكثرُ غرابة. قال البحر ببطءٍ ووضوح مرةً تلو أخرى بحيث لا يمكن الخطأ بشأن ما قال: «ديو- نيس- يا - ديو- نيس- يا».

اقتربت الأميرة من البحر قَدْر ما جَرُأَت على المضي من دون التعرض لخطر تبليل حذائها وجواربها الملكية. في الحال جاءَت أفعى بحرٍ من الموجة الأكبر لملاقاتِها. عرفت أنَّها أفعى بحر من الصور في كتب حكاياتها الملكية رغم أنها لم ترَ أفعى بحر من قبل قط، لكن أفعى البحر هذه بدت مختلفة نوعاً ما عنها في الصور. فبدلاً من أن تكون وحشاً مخيفاً بدت لطيفةً رقيقة وطيبة. مدت ذراعيها نحوها في الحال.

قالت ديونيسيا: «تعالي والعبي معي».

أجابت أفعى البحر: «أنا لابيسمينا وقد جئت لألعب معك».

بعدها كانت الأميرة الصغيرة سعيدةً جداً. صارت الأفعى تخرج من البحر كل يوم لتلعب معها حين تكون وحيدةً. إذا اقترب أحدٌ آخر، تختفي لابيسمينا في البحر لذا لم يرها أحد سوى ديونيسيا.

مضت السنوات بسرعة حتى صارت الأميرة في السادسة عشرة، وبالتأكيد أصبحت أميرة بالغة. كانت لا تزال تستمتع برفقة رفيقة لهوها القديمة، لابيسمينا، وكثيراً ما تمضي الوقت معها على الشاطئ.

ذات يوم، حين كانتا تسيران جيئةً وذهاباً على الشاطئ، نظرت أفعى البحر إلى ديونيسيا بعينين حزينتين وقالت: «أنا أيضاً كبرت طوال هذه السنين، يا عزيزتي ديونيسيا. الآن حان الوقت الذي لم يعد بمقدورنا فيه أن نلعب فيه معاً. لن أخرج من البحر لألعب معكِ قط، ولكني لن أنساكِ البتة وسأبقى دوماً صديقتكِ. آمل ألا تصادفي أي مشكلات، ولكن إن حدث ذلك، نادي باسمي وسآتي لمساعدتك». ثم اختفت في البحر.

بعد فترة قصيرة ماتت زوجة ملك في الجوار وفيما هي تحتضر موتها، أعطت الملك خاتماً مرصعاً وقالت له: «حين يأتي الوقت الذي ترغب فيه بالزواج ثانية، أطلب منك أن تتزوج الأميرة التي لا يكون هذا الخاتم ضيقاً جداً على إصبعها ولا واسعاً جداً».

بعد مدة بدأ الملك البحث عن أميرة لتكون عروسه. زار الكثير من القصور الملكية وجرَّب الخاتم على أصابع العديد من الأميرات.

كان الخاتم ضيقاً على أصابع بعضهن وواسعاً على أصابع أخريات. لم تكن ثمة أميرة ناسب الخاتم إصبعها تماماً.

أخيراً أتى الملك في بحثه إلى القصر الملكي حيث عاشت الأميرة ديونيسيا. كان لدى الأميرة أحلامها الخاصة حول أميرٍ شاب فاتن سيأتي ذات يوم ليتزوجها، لذا لم تبتهج على الإطلاق. كان الملك عجوزاً مفتقراً إلى الوسامة، وفي حين كان يجرِّب الخاتم على إصبع ديونيسيا، تمنت من كل قلبها ألا يناسب إصبعها. ولكنه ناسبه تماماً.

خافت الأميرة ديونيسيا حتى الموت. سألت أباها الملك: «هل سيتوجَّب عليَّ حقاً الزواج به؟». أخبرها والدها عن ثراء الملك وعظمة مملكته وروعة قصره الذي يفوق القصر الذي كان دوماً منزلاً لديونيسيا جمالاً وكِبراً. كان والدها مستاء تجاه رفضها الملك، وقال لها: «يجب أن تعتبري نفسكِ الأميرة الأوفر حظاً في العالم كله».

قضت ديونيسيا أيامها ولياليها منتحبةً. وخشي والدها أن تنحل كثيراً فلا يعود الخاتم يناسب إصبعها، لذا استعجل إجراءات الزواج.

ذات يوم كانت ديونيسيا تروح وتجيء بجانب البحر، تبكي وكأن قلبها سينفطر. فجأةً توقفت عن البكاء وقالت: «كم كنت غبية، أخبرتني رفيقة لعبي لابيسمينا أنها ستعود لمساعدتي إذا صادفتني مشكلة ما. ببكائي الأخرق كله، نسيتُ الأمر».

اقتربت ديونيسيا من البحر ونـادت برقة: «لابيسمينا، لابيسمينا». خرجت أفعى البحر من البحر مثلما اعتادت دوماً. وأخبرتها الأميرةُ بالمشكلة الفظيعة التي تهدد بإفساد حياتها.

قالت لابيسمينا: «لا تخافي، أخبري أباك أنكِ ستتزوجين الملك حين يهديكِ فستاناً بلون الحقول وأزهارها كلِّها وأنك لن تتزوجيه حتى يجلبه لك». ثم اختفت أفعى البحر في البحر مجدَّداً.

أرسلت ديونيسيا رسالةً عبر والدها إلى طالب يدها أنها ستتزوجه فقط حين يجلب لها فستاناً بلون الحقول وأزهارها كلِّها. كان الملك مولَّهاً بديونيسيا لذا كان في سرِّه مُتْرعاً بالبهجة لطلبها هـذا. بحث في كل مكان عن فستان بلون الحقول وأزهارها كلِّها، كان شيئاً شاقٌّ العثورُ عليه ولكنه أحضر واحداً في النهاية. أرسله إلى ديونيسيا على الفور.

حين رأت ديونيسيا أن الملك وجد لها الثوب حقاً، تملكها الأسى. فكرت أنه لا مهرب وأنه يجب عليها الزواج من الملك في نهاية المطاف. حالما استطاعت الخروج من القصر دون أن تُلْحظ، ركضت إلى البحر ونادت مجدداً: «لا بيسمينا، لا بيسمينا».

خرجت أفعى البحر على الفور من البحر. قال لديونيسيا: «لا تخافي، عودي وقولي إنكِ لن تتزوجي من الملك حتى يمنحكِ فستاناً بلون البحر وكل أسماكه».

حين سمع الملك بهذا المطلب الجديد من ديونيسيا وهنت عزيمته قليلاً. لكنه بحث عن الثوب وفي النهاية، بعد أن صرف مبلغاً عظيماً من المال، أحضر الرداء.

حين رأت ديونيسيا أنه قد عُثر على فستان بلون البحر وكل أسماكه لأجلها، ذهبت مجدداً لطلب المشورة لدى رفيقتها القديمة. قالت لابيسمينا لها مجدداً: «لا تخافي، يجب أن تسألي الملك هذه المرة أن يحضرَ لكِ فستاناً بلون السماء وكل نجومها. تستطيعين أن تقولي له أيضاً أن هذه آخر هدية ستطلبينها منه».

حين سمع الملك بطلب الفستان بلون السماء وكل نجومها، أحبط تماماً، ولكنه حين سمع أن ديونيسيا وعدت أن هذه آخر

هدية ستطلبها، قرَّر أنَّها تستحق ما ينفقه بعد كل شيء. شَرَعَ في إحضار الثوب بأقصى سرعة ممكنة. وأخيراً وجد واحداً.

حين رأت ديونيسيا الفستان بلون السماء وكل نجومها، فكرت أنه لا مهرب هذه المرة من الزواج بالملك. نادت أفعى البحر بقلبٍ قلق لأنها كانت خائفةً أنه حتى لابيسمينا لا تستطيع فعل شيء الآن لمساعدتها.

خرجت لابيسمينا من البحر استجابةً لندائها.

قالت أفعى البحر: «عودي إلى القصر وأحضري فستانكِ الذي بلون الحقول وكل أزهارها وفستانكِ الذي بلون البحر وكل أسماكه وفستانكِ الذي بلون السماء وكل نجومها. ثم عودي إلى هنا إذ أني أعدُّ مفاجأة لكِ».

طوال الوقت الذي كان الملك يحضر فيه الأرديـة الرائعة لديونيسيا، كانت أفعى البحر تبني سفينة لها. حيون عادت ديونيسيا من القصر الملكي حاملة كل أثوابها الفاتنة مطوية بحرص في صندوق، كان ثمة قارب غريب صغير بانتظارها لا يشبه أي قارب آخر رأته في حياتها وكانت خائفة من ركوبه حين سألتها لابيسمينا أن تجرِّبه. قالتِ لابيسمينا: «إن هذا القارب

الصغير الذي بنيته لكِ سيحملكِ بعيداً في البحر إلى مملكة أميرٍ هو الأكثر فتنةً في العالم كله. حين ترينه سترغبين بالزواج منه من بين الآخرين جميعاً».

صرخت ديونيسيا: «آه يا لابيسمينا، كيف سأستطيع يوماً أن أردّ لك هذا الجميل؟».

قالت لابيسمينا: «تستطيعين القيام بأعظم شيء في العالم لأجلي. رغم أني لم أخبركِ من قبل ولا أعتقد أنكِ شككت بالأمر، فأنا في الحقيقة أميرة مسحورة. سأبقى في هيئة أفعى بحر حتى تناديني أسعدُ فتاة في العالم ساعةَ سعادتِها القصوى باسمي ثلاث مرات. وستكونين أسعد فتاة في العالم يومَ زواجك، وإذا تذكرتِ أن تنادي باسمي ثلاث مرات ستحررينني من السحر وسأكون مجدداً أميرةً جميلة بدل أفعى بحر».

وعدت ديونيسيا صديقتها أنها ستتذكر القيام بهذا. طلبت منها أفعى البحر أن تعِدها ثلاث مرات لتتأكد. حين وعدت ديونيسيا ثلاث مرات وعانقت مجدداً رفيقة لهوها وشكرتها على كل ما فعلته، أبحرت في القارب الصغير. واختفت أفعى البحر في البحر.

أبحرت ديونيسيا وأبحرت في القارب الصغير وأخيراً وصلت إلى جزيرةٍ جميلة. اعتقدت أنها بلغت وجهتَها، لذا خطت خارجة من القارب غير ناسيةٍ أن تأخذ صندوق ثيابها معها. حالما كانت خارج القارب، أُبحر القارب بعيداً. قالت ديونيسيا: «الآن ماذا سأفعل؟ مضى القارب وتركني وكيف سأكسب عيشي؟ لم أقم أبداً بشيءٍ نافع في حياتي».

كان على ديونيسيا أن تفعل شيئاً حالاً لتكسب عيشها، لذا شرعت على الفور بالبحث عما تستطيع إيجاده لتفعله. مضت من بيت إلى بيت طالبةً الطعام والعمل. في النهاية وصلت إلى قصر الملك حيث أخبروها أنهم بحاجةٍ ماسّةٍ إلى خادمة تعتني بالدجاجات. فكرت ديونيسيا أن هذا شيء تستطيع القيام به لذا قبلت الوظيفة على الفور. كان ذاك بالطبع عملاً مختلفاً جداً عن كونها أميرة في قصر الملك ولكنه زوّدها بالطعام والملجأ، وحين تذكرت ديونيسيا واجب الزواج من الملك العجوز، لم تأسف قطّ على تركها البيت.

مضى الوقت وأخيراً كان هناك يوم احتفال كبير يُحتفى به في المدينة. ذهب كلٌّ من في القصر عدا الخادمة الصغيرة التي تعتني بالدجاج.

قـررت ديونيسيا بعد أن رحل الجميع أنها ستذهب إلى الاحتفال أيضاً. فسرَّحت شعرها وارتدت ثوبها الذي بلون الحقول وكل أزهارها.

في ثوبها الرائع هذا، كانت متأكدة ألَّا أحد البتة سيخمِّن أنها نفسها الخادمة الصغيرة التي تُرِكت في البيت لتعتني بالدجاج. حقاً أرادت الذهاب إلى الاحتفال! أسرعت إلى هناك قدر ما استطاعت ووصلت تماماً في وقت الرقص.

لاحظ كلٌّ من في الاحتفال الصبية الجميلة بردائها الملون بلون الحقول وكلِّ أزهارها. وقع الأمير في حبها بجنون. لم يرها أحدٌ من قبل قط ولم يستطع أحد أن يكتشف من تكون الغريبة الجميلة أو من أين أتت. قبل أن ينتهي الحفل، انسلَّت ديونيسيا راحلةً، وحين عادت بقية الحاشية الملكية إلى القصر، كانت الخادمة الصغيرة هناك ترعى الدجاج تماماً كما تركوها.

في اليوم الثاني من الاحتفال، مضى الجميع مبكراً عدا الخادمة الصغيرة التي تعتني بالدجاج. بعد أن ذهب الجميع، ارتدت فستانها الذي بلون البحر وكلِّ أسماكه وذهبت إلى الاحتفال. جذبت مزيداً من الانتباه عما فعلته في اليوم السابق.

حين انتهى الاحتفال وعادت الحاشية الملكية إلى القصر، أبدى الأمير ملاحظةً لأمه: «ألا تعتقدين أن الغريبة الجميلة في الاحتفال تشبه الخادمة الصغيرة التي ترعى دجاجنا؟».

أجابت أمه: «أيُّ هراء، كيف يمكن للخادمة الصغيرة التي ترعى دجاجنا أن تحصل أبداً على ثيابٍ بديعةٍ كهذه لترتديها؟». فقط ليتأكد، على كل حال، طلب الأمير من المستشار الملكي أن يستكشف ما إذا كانت الخادمة الصغيرة التي ترعى الدجاج الملكي قد ذهبت إلى الاحتفال. أخبر جميع الخدم عن تركها في البيت مع الدجاج والعودة وإيجادها تماماً مثلما تركوها.

قال الأمير: «أياً كانت الغريبة الجميلة في الاحتفال، فهي الوحيدة من بينهن جميعاً التي أريدها زوجةً لي. سأكتشفها بطريقةٍ ما».

في اليوم الثالث من الاحتفال، ذهبت ديونيسيا متسربلةً بردائها الذي بلون السماء وكل نجومها. عشقها الأمير بجنون أكثر من ذي قبل. لم يستطع إجبارها على إخباره من تكون أو أين تعيش ولكنه أعطاها جوهرةً جميلة.

حين عاد الأمير إلى القصر، لم يأكل أي طعام. أصبح نحيلاً وشاحباً. حاول كل من في القصر جهده أن يتكر طبقاً يفتح شهية الأمير.

أخيراً قالت الخادمة الصغيرة التي اعتنت بالدجاج أنها تظن نفسها قادرة على إعداد طبق سيأكله الأمير.

وهكذا للأمير أعدت طبقاً من الحساء ورمت في قاعه الجوهرة التي أعطاها الأمير إياها.

حين وُضع الحساء أمام الأمير، كان على وشك إبعاده فوراً، مثلما فعل تماماً مع كل شيء آخر، لكن الجوهرة البراقة جذبت انتباهه. سأل حالما استطاع الكلام: «من أعدَّ طبق الحساء هذا؟».

أجابته أمه: «أعدته الخادمة الصغيرة التي ترعى دجاجنا».

صرخ الأمير: «أرسلوا في طلب الخادمة الصغيرة لتأتيني في الحال، عرفت أن الغريبة الجميلة في الاحتفال بدت شبيهةً بالخادمة الصغيرة التي ترعى دجاجنا».

تزوج الأمير من ديونيسيا في اليوم التالي مباشرةً وكانت

ديونيسيا أسعد فتاة في العالم، إذ أنها منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها الأمير، عرفت أنه هو دون سواه من تريد الزواج منه.

يا للأسى! نسيت ديونيسيا في غمرة حماستها كل ما يتعلق بمناداة اسم رفيقة لعبها القديمة لابيسمينا في ساعة زواجها مثلما وعدت أن تفعل. لم تفكّر بشيء عدا الأمير.

ما كان للابيسمينا من مَهْرَب. كان عليها أن تبقى في هيئة أفعى بحر بسبب إهمال ديونيسيا. فقدت فرصتها في أن تخرج من البحر وتصبح هي الأخرى أميرة جميلة وتجد أميراً فتّاناً يتزوجها. لهذا السبب يُسمع نحيبها الحزين في البحر حتى يومنا هذا.

كثيراً ما تسمعون النداء يأتي من البحر حين يتكسّرُ على الشاطئ: «ديونيسيا، ديو- نيس-يا». لا عجب أن البحر ينتحب. يكفي لذلك حزن أفعى بحر نسيها الإنسان الذي فعلت الكثير من أجله.

كيف حصلت الخنافس البرازيلية على قشرتِها البهيَّة؟

ثمة على ظهور الخنافس في البرازيل قشرة ملونة جميلة صلبة لدرجة أنَّها تُضاف إلى المشابك والقلادات كأحجارٍ ثمينة. ذات مرة، قبل سنوات وسنوات، كانت قشرتها بنيةٌ عادية قبيحة. إليكم كيف حدث واكتسبت الخنافس البرازيلية قشرةً جديدة.

ذات يوم كانت خنفساءٌ بنيَّةٌ صغيرةٌ تزحف على جدارٍ حين خرج جرذٌ رماديٌّ كبيرٌ من ثقب في الجدار ونظر بازدراء إلى الخنفساء الصغيرة. وقال لها: «هيه أنتِ، كم تزحفين ببطء. لن تصلي إلى أي مكانٍ في العالم. فقط انظري إلي وراقبي كم سريعاً أستطيع الركض».

ركض الجرذ الرمادي الكبير إلى آخر الجدار واستدار وعاد إلى حيث كانت الخنفساء الصغيرة تزحف ببطءٍ قاطعةً مسافة صغيرة من حيث تركها الجرذ.

قال الجرذ الرمادي الكبير للخنفساء البنيَّة الصغيرة: «ألا

تتمنين لو كان بمقدورك الركض هكذا؟».

أجابت الخنفساء البنيَّة الصغيرة بتهذيب: «أنت عدَّاءٌ سريعٌ بالتأكيد». علَّمتها أمها أن تكون مهذبةً دوماً وكثيراً ما قالت لها أن الخنفساء المهذبة بحق لا تتباهى قطّ بفضائلها. لم تتباه الخنفساء البنيَّة الصغيرة البتة بالأشياء التي تستطيع فعلها. فقط تابعت الزحف ببطءٍ على الجدار.

سمع هذه المحادثة ببغاءٌ ملون أخضر زاه وذهبي على شجرة المانغو أعلى الجدار. فسأل الجرذ الرمادي الكبير: «كيف تريد التسابق مع الخنفساء؟». ثم أضاف: «أعيش بجوار الطائر الخياط، وفقط لأجعل السباق مثيراً سأقدم قشرةً زاهية الألوان كجائزةٍ لمن يربح السباق. تستطيعان اختيار أي لون تريدان وسأحصل عليه حسب الطلب».

قال الجرذ الرمادي الكبير ناظراً من فوق كتفه إلى جنبيه الرماديين الكالحين وكأنه يستحسن سلفاً وبره الجديد: «أريد وبراً أصفر ذا خطوط شبيهة بخطوط النمر».

قالت الخنفساء البنية الصغيرة: «أودُّ قشرةً جميلةً جديدةً زاهيةً أيضاً».

ضحك الجرذ الرمادي الكبير طويلاً وبصوت عالٍ حتى اهتز بدنه الرمادي الكالح. قال حين استطاع الكلام: «عجباً، تتكلمين تماماً وكأنك تعتقدين أن لديكِ فرصةً لكسب السباق».

حدد الببغاء الذهبي الأخضر الزاهي شجرةَ النخيل الملكية على قمة الجُرف هدفاً للسباق. أعطى إشارة البدء ثم طار بعيداً إلى شجرة النخيل الملكي ليرقب نهاية السباق.

ركض الجرذ الرمادي الكبير قدر ما استطاع. ثم فكّر كم تعِب وقال لنفسه: «ما فائدة العجلة؟ لن تستطيع الخنفساء البنية الصغيرة الفوز قطّ. لو كنت أتسابق مع أحد يستطيع حقاً الركض، لكان الوضعُ مختلفاً جداً». ثم بدأ بالركض أبطأ ولكن مع كل نبضة كان قلبه يقول له: «أسرِع! أسرِع!». قرَّر الجرذ الرمادي الكبير أنه من الأفضل أن يطيع الصوت الخافت في قلبه لذا أسرع بكل قوته.

حين وصل إلى شجرة النخيل الملكي على قمة الجُرف، لم يستطع تصديق عينيه. اعتقد أنه يحلم حلماً فظيعاً. كانت الخنفساء البنية الصغيرة تجلس هادئةً بجانب الببغاء الذهبي الأخضر الزاهي. لم يُصب الجرذ الرمادي الكبير بدهشة مماثلة طوال حياته. كيف استطعتِ أن تركضي بالسرعة الكافية

للوصول إلى هنا بهذه السرعة؟»، سأل الخنفساءَ البنية الصغيرة حالما استطاع التقاط نَفَسه.

بسطت الخنفساء البنية الصغيرة جناحيها الصغيرين وأجابت: «لم يقل أحدٌ أي شيء عن واجب الركض لكسب السباق، لذا طِرتُ عِوَضاً عن ذلك».

قال الجرذ الرمادي الكبير بصوت مهزوم خفيض: «لم أعرف أنكِ تستطيعين الطيران».

قال الببغاء الذهبي الأخضر الزاهي: «بعد هذا، لا تحكم إطلاقاً على أحد حسب مظهره فقط، لا تستطيع مطلقاً أن تعرف كم مرة أو أين قد تجد أجنحة خفية. لقد خسرتَ الجائزة».

حتى يومنا هذا، حتى في البرازيل حيث لدى الزهور والطيور والحيوانات والحشرات ألوان بهيَّةٌ، يرتدي الجرذ وبراً رمادياً قاتماً قبيحاً.

ثم التفَت الببغاء الذهبي الأخضر الزاهي إلى الخنفساء البنية الصغيرة التي كانت تنتظر بهدوء إلى جانبه وسألها: «أي لونٍ تريدين لقشرتكِ الجديدة؟».

تطلعت الخنفساء البنية الصغيرة إلى الببغاء الذهبي الأخضر الزاهي، إلى الأوراقِ الذهبية الخضراء لشجرة النخيل الملكي فوق رأسيهما، إلى ثمار المانغو الخضراء ذات التغضنات الذهبية على خدودها وهي ملقاةٌ على الأرض تحت أشجار المانغو، إلى شعاع الشمس الذهبي على التلال البعيدة الخضراء وقالتَ: «أختار قشرةً ملونةً بالأخضر والذهبي».

منذ ذاك اليوم ارتدت الخنافس البرازيلية قشرةً خضراء عليها خطوط ذهبية.

لسِنوات وسنوات، كانت الخنافس البرازيلية كلها فخورة بارتداء القشرة الخضراء الذهبية الشبيهة بتلك التي ارتدَتْها الخنفساء التي تسابقت مع الجرذ.

ثم حدث ذات مرة أن كانت ثمة خنفساء صغيرة غير راضية عن قشرتها الخضراء الذهبية. تطلعت إلى السماء الزرقاء وإلى البحر الأزرق وتمنت لو كان لديها قشرةً زرقاء عِوَضاً عنها. ظلت تتكلم على الأمر حتى أخذتْها أمها إلى الببغاء الذي عاش جاراً للطائر الخياط.

قال الببغاء: «تستطيعين استبدال قشرتكِ بأخرى زرقاء، ولكن إن فعلتِ سيتوجب عليك التخلي عن شيء».

قالت الخنفساء الصغيرة غير الراضية: «آه، سأتخلى بسرور عن أي شيء إذا استطعتُ الحصول على قشرةٍ زرقاء بدل الخضراء الذهبية».

حين تلقتْ قشرتَها الجديدة اعتقدتْها جميلة للغاية. كانت درجة بديعة من تدرجات الأزرق وكانت عليها أضواء بيضاء فضية كأضواء النجوم.

لكنها حين ارتدتها اكتشفت أنها ليست قاسية كالقشرة الخضراء الذهبية. منذ ذاك اليوم لم تكن قشرة الخنفساء الزرقاء قاسية وصلبة.

هذا هو السبب في الصعوبة التي يلاقيها صناع الجواهر في استخدامها في المشابك والقلادات مثل الخنافس الأخرى.

منذ اللحظة التي ارتدت فيها الخنفساء الزرقاء قشرتها لم تكبر ثانية. منذ ذاك اليوم وحتى يومنا هذا كانتِ الخنافس الزرقاء أصغر بكثير من مثيلاتها الخضراء الذهبية.

وحين صَمَّم البرازيليون علم بلادهم أخذوا مربعاً أخضر هو لون قشرة الخنفساء الخضراء. ووضعوا داخل المربع معيَّناً ذهبياً مثل الأضواء الذهبية التي ترتسم على ظهر الخنفساء الخضراء. ثم رسموا داخل المعيَّن دائـرةً تمثل الأرض الكروية ولونوها بالأزرق مثل قشرة الخنفساء الزرقاء. وضعوا على الدائرة الزرقاء نجوماً فضية البياض كالأضواء فضية البياض على ظهر الخنفساء الزرقاء. حول دائرة الأرض التي صوروها هكذا رسموا شريطاً أبيض وعلى هذا الشريط كتبوا شعار بلدهم: «النظام والتقدم».


ISBN 978-9948-01-358-7
9 789948 013587


ABU DHABI CULTURE & HERITAGE


كلمة
KALIMA


المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة